عقائد المؤمنين

السيّد عادل العلوي

العلوی، السیّد عادل، ۱۹۵۵ ــ
عقائد المؤمنین / تألیف السیّد عادل العلوي. ــ قم: المؤسسة الإسلامیة العامة للتبلیغ والإرشاد، ۱٤۲۲ ق. = ۲۰۰۱ م. = ۱۳۸۰.
۲۷۲ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامیة)
ISBN 964 - 5915 - 52 - X. - ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره)
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
چاپ قبلی: دار الذخائر، ۱۳٦۹ در ۱٦۸ ص است.
عربی.
کتابنامه به صورت زیرنویس.
۱. شیعه ــ عقائد. ۲. شیعه ــ اصول دین. ۳. شیعة ـ فروع الدین. الف. مؤسسه اسلامی جهانی تبلیغ و ارشاد. ب. عنوان.
۷ع ۸۳ع / ۵ / BP ۲۱۱ ۲۹۷ / ٤۱۷۲
۱۳۸۰
کتابخانهٔ ملی ایران
محل نگهداری ۹۲۲٦ ــ ۸۰م

موسوعة
رسالات إسلامية

كتاب
عقائد المؤمنين
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد
الطبعة الثانية ـ ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم
الكمية ـ ١٠٠٠ نسخة

شابك X ـ ٥٢ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 52 - X
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٥٢٨ EAN 9789645915528
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

الإهداء

السلام عليك يا جدّاه يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

السلام عليك يا حبيب قلوبنا وطبيب نفوسنا وشفيع ذنوبنا.

السلام عليك يا حبيب الله وصفوته وأمينه وأشرف خلقه.

أهديك مجهودي المتواضع صحائف عقائدي برجاء القبول والشفاعة.

يا رسول الله، اشهد لي عند الله أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّك رسوله وأنّك محمّد بن عبد الله، وأشهد أنّك قد بلّغت رسالات ربّك، ونصحت لأُمّتك، وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأدّيت الذي عليك من الحقّ، وأنّك قد رؤفت بالمؤمنين، وغلظت على الكافرين، وعبدت الله مخلصاً حتّى أتاك اليقين، فبلغ الله بك أشرف محلّ المكرمين، الحمد لله الذي استنقذنا بك من الشرك والضلال.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واجعل صلواتك وصلوات ملائكتك وأنبيائك والمرسلين وعبادك الصالحين على محمّد عبدك ورسولك ونبيّك وأمينك ونجيبك وحبيبك وصفيّك وصفوتك وخاصّتك وخالصتك وخيرتك من خلقك، وأعطه الفضل والفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون.

فجزاك الله يا رسول الله أفضل ما جزى نبيّاً عن أُمّته، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد أفضل ما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد سميع مجيب.

عبدك المذنب
عادل العلوي

كلمة المؤسسة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد وآله الطاهرين.

أمّا بعد:

فمنذ أن اندلعت نار الثورة الإسلامية المباركة في إيران لتحرق عروش الطغاة وعملاء الاستعمار، وتنير الدرب للأحرار والثوّار في العالم، فمنذ نهضة الشعب المسلم، والإسلام ينمو ويتفاعل يوماً بعد يوم، وتزداد ـ لأجل ذلك ـ الحاجة الماسّة إلى مروّجي أحكام الإسلام وناشري نوره وهداه، وتعليم الناس المفاهيم الإسلامية التي تواكب المسير البشري إلى شاطئ السعادة وساحل السلام.

فلذا نهض العلماء الواعون والروّاد المجاهدون بأعباء تلك المسؤوليّة الجسيمة وسعوا إلى سدّ ـ ولو قليلاً ـ تلك الحاجة الملحّة وملء منطقة الفراغ، فبذلوا النفس والنفيس من أجل ذلك.

فترى المؤلّفات القيّمة، التي تعرف الإسلام بعظمته وأحكامه، وكذا ترى المؤسسات الثقافية والدينية والجمعيات الخيرية تنمو وتزداد، ولا يمكن أن يدّعي شخص بأنّها كافية لسدّ الحاجة الهائلة لها.

ولهذا كلّه بادر جمع من الطلبة الواعين والمفكّرين المؤمنين إلى تأسيس المؤسّسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد برعاية المؤسّس سماحة السيّد العلوي دامت بركاته آملين أن تسدّ جزءاً ـ ولو يسيراً ـ من الاحتياجات الملحّة التي يفرضها مسلمو العالم اليوم وغداً.

أمّا أهداف هذه المؤسسة فتتلخّص ممّا سبق بما يأتي:

١ ـ الإجابة عن الأسئلة الدينية والفكريّة والثقافيّة، التي ترد إليها من مختلف أنحاء العالم، وذلك من خلال أهمّ المصادر المعتمدة عند المسلمين.

٢ ـ طبع ونشر الكتب التي تنفع في هذا المجال ـ التبليغ الإسلامي ـ ومنها إصدار مجلّة إسلامية في المستقبل إن شاء الله تعالى تتبع هذا النهج وتهتمّ بشؤون المسلمين، وكذلك إرسال الكتب الإسلامية مجاناً لمراسلي المؤسسة[١].

٣ ـ بناء الطلبة الواعين المؤمنين القادرين على التبليغ الإسلامي في الداخل والخارج، وذلك من خلال الندوات والمحاضرات الإسلامية الأُسبوعية التي

---

(١) بحمد الله أصدرت المؤسسة خلال عشر سنوات ما يلي:

١ ـ مجلة (الكوثر) نصف سنوية (١٤ عدداً).

٢ ـ مجلة (عشاق اهل بيت) فصلية بلغة الأوردو (١٠ أعداد).

٣ ـ صحيفة (صوت الكاظمين) شهرية (١٠٥ أعداد).

٤ ـ وطبعت (٩٥) عنوان كتاب ورسالة.

٥ ـ وطبعت لوحات تبليغية (٦ لوحات).

٦ ـ وأرسلت آلاف من الكتب مجاناً إلى أكثر من خمسة آلاف مشترك في خمسة وأربعين دولة، ولا زلنا في بداية الطريق، نسأل الله التوفيق والتسديد.

الناشر

تنهجها هذه المؤسسة المباركة.

ونشاطات ثقافية دينية أُخرى، هذا ونأمل من الباري جلّ وعلا أن يوفّق العاملين لأجل نشر الإسلام المحمّدي الأصيل.

ومن هذا المنطلق والمفهوم الإسلامي، نقدّم إلى القرّاء الكرام هذا الكتاب القيّم (عقائد المؤمنين) وهو ثالث منشورات المؤسسة، ونسأل الله التوفيق والسداد لنشر معارف الإسلام الحنيف شريعة السماء السمحاء.

هذا ودمتم بخير وازدهار، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مدير المؤسسة

سيّد كاظم الموسوي

خلاصة الإسلام

خلاصة الإسلام في أُصوله وفروعه

قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[1].

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[2].

﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[3].

الإسلام العظيم هو دين الله القويم كما تنصّ الآيات الشريفة والعقل السليم وبكلّ وضوح على ذلك.

الإسلام شريعة السماء الذي بعث به محمّد النبيّ الأعظم نبيّ الرحمة ﷺ رحمةً للعالمين، وبعث به من قبله الأنبياء والمرسلين.

رسالة الإسلام الرصينة، سليمة من أيّ تحريف في مبادئها وأُصولها،

---

(١) آل عمران : ١٩.

(٢) آل عمران : ٨٥.

(٣) المائدة : ٣.

تتماشى مع كلّ عصر وفي كلّ مصر، فهي رسالة عالمية خالدة تربط الإنسان بربّه ومعاده، وتعالج مشاكل المجتمعات البشرية إلى يوم الدين.

فهي الرسالة الأبدية والنور المزدهر في دهاليز الحياة، وتشمل وتعمّ الجوانب والحقول الدنيوية والأُخرويه، وحوّلت شعاراتها التوحيدية إلى حقائق عملية في مجالات الحياة، ودخلت في التاريخ الإنساني، وساهمت في صنعه وخلق جيل جديد متحضّر ومتقدّم في علومه وفنونه وحياته المزدهرة، ولم يقتصر أثرها البالغ على بناء هذه الأُمّة المرحومة، بل امتدّ من خلالها لتكون قوّة فعّالة وطاقة متفجّرة في العالم كلّه على مسار التاريخ.

فهي آخر أُطروحة سماوية، وهي آخر مناهج ربّانية، وختامها للنبوّة تؤكّد استمرارها مع العصور، كما تنفي ظهور نبوّة أُخرى على مسرح العالم.

فرسالة الإسلام القويمة في قوانينها وأحكامها، لهي أشرف رسالات السماء، إذ تنسجم مع فطرة الإنسان السليمة وعقله المستقيم، وتفتح على كلّ أبعاده من المهد إلى اللحد، الخير والسعادة والهناء والعيش الرغيد لمن يطبّقها عملياً في حياته وسلوكه وأفكاره.

ومن أراد تحقيق الأديان والمذاهب ومعرفة سلامتها وتحرّي الحقّ منها فعليه أوّلاً أن يبدأ بالإسلام، إذ بحكم العقل السليم تحقيق المتأخّر يغني عن تحقيق المتقدّم، ولا عكس.

كما على كلّ مسلم ومؤمن رسالي أن يعرف إسلامه حقّ المعرفة، ويتعلّم أحكامه ودساتيره، ويتفقّه في الدين، فذلك من كماله، بل كلّ الكمال، كما ورد في الخبر الشريف عن مولانا أبي جعفر الباقر عليه السلام:

«الكمال كلّ الكمال: التفقّه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير

المعيشة»[١].

ونعتقد حقّاً أنّ الدين عند الله الإسلام؛ وفي القرآن الكريم تارةً يطلق الإسلام ويراد منه المعنى الأعمّ الذي هو دين الأنبياء من آدم إلى الخاتم عليهم السلام، فهذا الدين الواحد من الواحد الأحد هو التسليم لله سبحانه، فالدين عند الله هو الإسلام، فالمقصود في هذه الآية الشريفة ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[٢] هو الإسلام بالمعنى الأعمّ، وتارة يطلق في القرآن الإسلام ويراد منه المعنى الأخصّ الذي في عرض الأديان والشرائع السماوية الأُخرى كاليهوديّة والنصرانية، فإنّ الله ختم النبوّة ورسالة الأنبياء بدين الإسلام الحنيف، فقد جعل لكلّ نبيّ منهجاً وشريعة، إلّا أنّه ختم المناهج والشرائع السماوية بشريعة الإسلام السمحاء، ولم يرضَ لأحد بعد الإسلام بالمعنى الأخصّ ديناً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٣]، ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[٤]، فنسخ الإسلام بقيّة الشرائع، ولن يقبل من أحد ديناً يدين به إلّا الإسلام ـ بالمعنى الأخصّ ـ الذي جاء به سيّد الأنبياء وخاتم المرسلين محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، إذ هو الشريعة الإلهية الحقّة التي ختمت شرائع الأنبياء السماوية، فهي أكملها وأوفقها في سعادة البشر، وأجمعها لمصالحهم في معاشهم ومعادهم، فهي صالحة للبقاء مدى الدهور، كما جاءت

---

(١) معالم الدين: ١٩.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) آل عمران: ٨٥.

(٤) المائدة: ٣.

لتبقى فلا تتغيّر ولا تتبدّل في جوهرها وكنهها وحقيقتها، ولها ربّ يحميها، كما قال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

فهي كاملة وشاملة وجامعة لجميع ما يحتاجه الإنسان من النظم الفردية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغير ذلك، فهي دين ودولة، دولة حقّ في ظلّها سعادة البشر والحياة الطيّبة.

ولا بدّ بجبر التاريخ ـ على حدّ تعبيرهم ـ أن يأتي ذلك اليوم الذي ينتشر الإسلام ويقوى ويعلى، فإنّ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فيعمّ ربوع الأرض بعدله ونظامه الشامخ وقوانينه الرصينة حيث وعدنا الله بذلك، ولن يخلف الله وعده، فإنّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون، ولكن لا بدّ من التغيّر في أنفسنا أوّلاً كما قال سبحانه:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2].

ولا بدّ أن نعرف إسلامنا كمال المعرفة ونطبّقه، في جميع مجالات حياتنا الفردية والاجتماعية، وأوّل الدين معرفة الجبّار سبحانه وتعالى، إذ لمّا منحنا الله قوّة التفكير ووهب لنا العقل بلطفه، أمرنا أن نفكّر في خلقه ونتدبّر في آثار صنعه وحكمته، ونتأمّل في آياته الآفاقية والأنفسيّة حتّى يتبيّن أنّه هو الحقّ وحده لا شريك له:

(١) الحجر: ٩.

(٢) الأنفال: ٥٣.

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[1].

وقد ذمّ الله المقلّدين ومن يتّبع ظنونه في توحيده، بل لا بدّ من العلم واليقين والاجتهاد في معرفة المبدأ والمعاد وما بينهما من معرفة صفات المبدأ والنبوّة والإمامة، وهذا ما تقوله الفطرة السليمة، ولا يسوغ للإنسان أن يهمل نفسه في الأُمور الدينية الاعتقادية.

وبما أنّ الإنسان ذو أبعاد ثلاثة: العقل والروح والجسد، فلا بدّ له من مكمل لعقله ومهذّب لروحه ومؤدّب لجسده، وما يروي عطش العقل هي العقائد الصحيحة والسليمة من الشكوك والأوهام والشبهات والانحراف، والمتبنّي لبيانها: علم الكلام، وما يصيقل القلب ويطهّر الروح ويهذّب النفس من الصفات الذميمة والأخلاق الرذيلة هي الأخلاق الحميدة والسجايا الطيّبة، والمتكفّل لبيانها: علم الأخلاق.

ومربّي الجسد على العادات الحسنة والأفعال الصالحة وطاعة الله سبحانه من العبادات التي تربط الإنسان بربّه، ومن المعاملات التي تنظّم حياته الاجتماعية، والمتعهّد لبيانها: علم الفقه.

فهذه هي العلوم التي يسعد بها الإنسان في الدارين وينجو بها من المهلكات، وأمّا الباقي فهو فضل.

وربما من هذا المنطلق حصر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله العلم في ثلاث، كما ورد في الخبر الشريف:

(١) فصّلت: ٥٣.

«عن أبي الحسن مولانا موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجلٍ، فقال: ما هذا؟ فقيل: علّامة، فقال: وما العلّامة؟ فقالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية. قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ذاك علمٌ لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من علمه. ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّما العلم ثلاثة: آيةٌ محكمة، أو فريضةٌ عادلة، أو سنّةٌ قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل»[1].

فالعلم النافع الذي يضرّ الإنسان لو جهله في المقياس النبوي إنّما هو عبارة عن: الآيات المحكمة (علم العقائد)، والفرائض العادلة (علم الفقه)، والسنن والآداب القائمة (علم الأخلاق). وباقي العلوم فضل، إمّا بمعنى الفضيلة، أو بمعنى الزيادة.

فلا بدّ أن نفهم الدين الحنيف ونتفقّه فيه كما أمرنا الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام بذلك. فعن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال:

«تفقّهوا في الدين، فإنّه مَن لم يتفقّه في الدين فهو أعرابي، إنّ الله يقول: ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2]»[3].

ويقول عليه السلام:

«ليت السياط على رؤوس أصحابي حتّى يتفقّهوا في الحلال والحرام».

فيجب علينا أن نتفقّه ونفهم الدين الإسلامي كما هو.

(١) المعالم: ١٨.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) معالم الدين: ٢١، عن الكافي.

وأوّل شعار طرحه الدين المبين هو التوحيد في قول رسوله الكريم: (قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا). فجعل الفلاح والفوز في كلمة التوحيد، حيث دمج بين الرفض والإثبات في العقائد، حيث رفض جميع الآلهة، وأثبت الصانع والمعبود والمعشوق سبحانه وتعالى، ومن ثمّ يتجلّى هذا الرفض والإثبات في الفقه الإسلامي، فإنّ الفقه المصطلح في واجباته ومحرّماته، هو الذي يقوم بدور التعميق لذلك الشعور الإيماني، فإنّه تعبير عملي وتطبيقي لغريزة الإيمان، ويجسّد لنا شعار الرفض والإثبات العقلي، وليست الأخلاق الإسلامية الحسنة إلّا تهذيب النفس والروح في ذلك الرفض والإثبات.

فالفقه تعبير عملي للعقيدة، والأخلاق تعبير روحي للعقيدة الإسلامية، لأنّ الأخلاق ليس إلّا الرفض والتخلّي من الصفات الرذيلة كالرياء والحسد والكبر والجهل، ثمّ إثبات الصفات الحميدة في القلب والروح والتحلّي بها، كالإخلاص والتواضع والعلم.

والغاية من كلّ ذلك: تربية الإنسان وتكامله وسعادته حتّى يصل إلى ذروة الكمال، فإنّ إلى ربّك الرجعى، وإلى الله المنتهى، وإنّا إليه راجعون، وإليه تصير الأُمور.

فخلق الإنسان ـ هذا الذي يزعم أنّه جرم صغير ولكن انطوى فيه العالم الكبير والأكبر، انطوى فيه العالم المادّي والمعنوي، عالم الطبيعة وعالم ما وراءها ـ، خلق من تراب الأرض، ثمّ يقول الله سبحانه:

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[1].

(١) الحجر: ٢٩.

ويتمدّح بخلقته بعدئذٍ في قوله عزّ وجلّ :

﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[١].

فخلق الإنسان وسخّر له ما في السماوات والأرض ليعرف ربّه وليعبده، ولا زال الإنسان ذلك الكائن المجهول يبحث منذ نعومة أظفاره عن كماله وسعادته، ويحاول أن يقف على سرّ الخليقة وفلسفة الحياة، وليس هو إلّا العلم والعبادة[٢].

وأخيراً، جعل علماؤنا الأعلام ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ للدين الإسلامي أُصولاً وفروعاً.

وأُصول الدين خمسة :

١ ـ التوحيد : بمعنى أنّ الله سبحانه صانع هذا الكون وخالقه، وحده لا شريك له.

٢ ـ العدل : بمعنى أنّ الله عادل وليس بظلّام للعبيد، وهو اللطيف بعباده.

٣ ـ النبوّة : بمعنى أنّ الله أرسل الرسل وبعث الأنبياء لهداية الناس.

٤ ـ الإمامة : بمعنى أنّ الله نصب أوصياء لرسله، ليحفظوا شرائعهم، ويهدوا الناس إلى الحقّ.

٥ ـ المعاد : بمعنى يوم القيامة ليجزي الله المطيع بطاعته والعاصي لمعصيته.

وفروع الدين عشرة :

(١) المؤمنون : ١٤.

(٢) ذكرت هذا المعنى بالتفصيل وأثبتّه في كتابي (دروس في العقائد الإسلامية)، ورسالة (فلسفة الحياة وسرّ الخليقة).

١ ـ الصلاة.

٢ ـ الصوم.

٣ ـ الزكاة.

٤ ـ الخمس.

٥ ـ الحجّ.

٦ ـ الجهاد.

٧ ـ الأمر بالمعروف.

٨ ـ النهي عن المنكر.

٩ ـ التولّي لله ولرسوله وأهل بيته عليهم السلام.

١٠ ـ التبرّي من أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء أهل البيت عليهم السلام.

ويأتينا تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

ولا يجوز التقليد، ولا يكفي الظنّ في معرفة أُصول الدين، بل لا بدّ أن يكون عن اجتهاد ودليل وعلم ويقين. وأمّا فروعه : يعني الواجبات الشرعية والأحكام الإسلامية المتعلّقة بالأفعال، فلا يجب فيها الاجتهاد، بل يجوز أن يكون المكلّف فيها مجتهداً، له قوّة الاستنباط بإرجاع الفروع إلى الأُصول واستفراغ الوسع في استنباط الأحكام الشرعية عن أدلّتها التفصيلية من الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، أو يكون مقلّداً لهذا المجتهد أو محتاطاً في أعماله فيما كان يسعه الاحتياط، فقد أوجبت الشريعة الإسلامية، التقليد في فروع الدين من الحلال والحرام للمجتهد الذي له اختصاص في علوم الشريعة، وحرمت ذلك في أُصول الدين، فلم تسمح لأي مكلّف بأن يقلّد في عقائده الدينية، بل يلزمه شرعاً وعقلاً التصديق بربّه وبنبيّه وإمامه ومعاده ودينه.

وبعبارة أُخرى أجمع العلماء كافّة على وجوب معرفة أُصول الدين بالدليل لا بالتقليد.

فكلّ واحد من الناس هو الذي يحمل مسؤولية عقائده على عاتقه، بدلاً عن تقليد الآخرين وتحميلهم مسؤوليتها.

وقد ذمّ الله في كتابه الحكيم أُولئك الذين يلقون مسؤولية أُصول الدين على عاتق آبائهم هرباً من المسؤولية، أو تعصّباً لهم، أو بدافع الكسل والجمود الفكري والانخمال العقلي، كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾[1].

وإنّما كلّف كلّ واحد منّا بالبحث والفكر في أُصول دينه بالقدر الذي يتلاءم مع مستواه الفكري، فلن يكلّف الله نفساً إلّا وسعها.

وقد حثّ الله سبحانه على النظر والاستدلال بقوله تعالى:

﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2].

وفي الفروع إن لم يجتهد ولا يحتاط فعليه أن يقلّد الفقهاء، فهم أُمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وقد جاء في الخبر الشريف عن مولانا صاحب الزمان عليه السلام وعجّل الله فرجه الشريف:

«فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فعلى العوام أن يقلّدوه».

فالإسلام عقيدة وعمل، وهو مشتمل على أُصول وفروع.

(١) الزخرف: ٢٣.

(٢) الأحقاف: ٤.

فالأُصول هي المعتقدات التي فرض الإسلام الإيمان بها، ومن لم يكن مؤمناً بها فليس بمسلم وليس بمؤمن، والمتكفّل لبيان أُصول الدين ودعمها بالبراهين والحجج العقلية والأدلّة النقلية هو (علم الكلام)، وأمّا الفروع فهي الأحكام المتعلّقة بأفعال المكلّفين العبادية منها، أو ما يصدر عنهم من أجل معايشهم، ويسمّى بالمعاملات، والمتكفّل لبيان الأحكام الفرعية هو (علم الفقه)، وتحصيل المعرفة بالأحكام الشرعية الفرعية بطريقين: الاجتهاد لمن طلب وتفقّه، والتقليد لمن لم يستنبط الأحكام عن أدلّتها التفصيلية، ويفرض الإسلام على كلّ مسلم العمل بأحكام الدين، ومن لم يعمل بها فليس بمطيع لله جلّ جلاله ولرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله ولأُولي الأمر عليهم السلام.

هذا والسبب في تدوين هذه الرسالة التي سمّيتها (عقائد المؤمنين) هو أنّها كانت من باب المقدّمة لكتاب (منهاج المؤمنين) الذى كتبته في المسائل الفقهية ليكون رسالة عملية مطابقة لفتاوى سماحة سيّدنا الأُستاذ آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي مدّ ظلّه، وقد طبع والحمد لله في مجلّدين ـ العبادات والمعاملات[1] ـ.

وشاء الله سبحانه أن تخرج هذه المقدّمة ـ بعدما طبع معظمها في جريدة كيهان العربي، قسم الثقافة ـ بهذا الزيّ المستقلّ، فحرّرت على ما سمح به الوقت المزدحم ما يرتبط بأُصول الدين وفروعه، مستدلاً بالأدلّة العقلية والنقلية من الكتاب والسنّة بنحو الإيجاز والإشارة.

وقد تعرّضت لمباحث أُصول الدين تفصيلاً في دروس قد سجّلتها الإذاعة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية في رمضان عام (١٤٠٨ هـ)، وقد

(١) طبع سنة ١٤٠٦ هـ ق.

نقلها أحد الأفاضل (ممّن أكون بخدمتهم في الدروس الحوزوية في حوزة قم المقدّسة) من الأشرطة (الكاسيتات)، كما سجّل المجمع العلمي للطلبة البحرينيين في قم، وكذلك حركة المهجّرين والمهاجرين تدريسي لشرح باب الحادي عشر قبل أعوام، فجزاهم الله خيراً. كما كتبت شرح الباب الحادي عشر في أجزاء باسم (بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر)، وهو أكثر تفصيلاً. كما سجّل تدريسي لشرح التجريد وكتبته في أجزاء (القول الحميد في شرح التجريد).

وما هذا إلّا من فضل ربّي عزّ وجلّ، وأسأل المولى القدير سبحانه وتعالى، السداد والاعتصام، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب، والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

«اللهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك.

اللهمّ عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك.

اللهمّ عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني.

اللهمّ لا تمتني ميتة الجاهلية، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة، إنّك أنت الوهّاب».

«يا الله، يا رحمن يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك».

العبد

عادل العلوي

قم المقدّسة ــ ١٤٠٩ هـ الطبعة الأُولى

١٤٢٢ هـ الطبعة الثانية

أُصول الدين

الأصل الأوّل

التوحيد

﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ ﴾[1].

كلّا، ليس في الله سبحانه وتعالى فاطر السماوات والأرض ريبٌ وشكّ، فإنّ الأدلّة والبراهين العقلية الساطعة كافية لإثبات وجود الصانع، وإنّ سبل المعرفة وطرق التوحيد بعدد أنفاس الخلائق:

ففي كلّ شيءٍ له آيةٌ تدلّ على أنّه الواحدُ

ليس كمثله شيء، عالم قادر حيّ، بيده ملكوت كلّ شيء، وإليه ترجع الأُمور.

ولكن في عصرنا المكفهرّ، تسعى المدارس الإلحادية ـ كالشيوعية ـ بشتّى المحاولات إلى بثّ أفكارها المسمومة ونشر فلسفتها المقيتة الوهمية، وإيديولوجيّتها السقيمة في مجامعنا الإلهية وبلادنا الإسلامية، إذ أهدافها ومخطّطاتها الاستعمارية ـ كالرأسمالية واستعمار الغرب ـ تنحصر بإبعاد شبابنا الناهض عن روح الدين الإسلامي، ليبتعدوا عن كلّ قيد والتزام ديني، فيسوغ لهم

---

(١) إبراهيم: ١٠.

ابتلاع ثرواتهم ويسهل عليهم استعبادهم، ومن ثمّ تأمين لذائذهم الخبيثة.

ومن هذا المنطلق نشاهد فئة كبيرة من العلماء والمفكّرين العباقرة على مدى العصور والأحقاب في مختلف العلوم والفنون، يقدّمون أدلّتهم الشافية وبراهينهم لإثبات الخالق سبحانه بسرد حقائق علمية ثابتة وشواهد فلسفية لامعة.

والبشرية منذ نعومة أظافرها كانت تعتقد بوجود خالق لهذا الكون، ولكنّها قد انحرفت أحياناً واشتبه عليها تشخيص ضالّتها، وليس ذلك إلّا تلبيةً لنداء الفطرة السليمة، فإنّها تصرخ في وجوه الملحدين بأنّ لهذا الكون صانعاً، فإيمانهم بالله لم يكن عن جهل وخوف وتقليد. بل عن علم وإيمان وبصيرة نافذة.

فالعالم لا بدّ له من صانع حكيم ومدبّر، والإنسان منذ بدايته يهرول خلف هذا النداء الباطني، فهو مجبول بغريزته وفطرته السليمة على العبودية والاعتقاد بإله خالق عليم قادر حيّ.

فخير دليل على إثبات الصانع فطرة الإنسان، والأدلّة الأُخرى ـ العقلية والسمعية ـ إنّما هي بمثابة وقود لتنوير الفطرة وتجليتها، وإليك بعضها على سبيل الإجمال، ونجعله في المقام الأوّل من البحث، ويليه المقام الثاني في صفات الله سبحانه وتعالى.

المقام الأوّل
أدلّة إثبات الصانع

١ ـ دليل الإمكان (مسلك الحكماء) :

وهو : أنّ ما بمشهدنا موجود، وهذه ضرورة بديهية.

والموجود إمّا واجب الوجود أو ممكن الوجود، إذ تصوّر مفهوم الوجود على ثلاث :

واجب الوجود لذاته، أي ما كان وجوده ضرورياً، فلا يحتاج إلى علّة الإيجاد، بل هو علّة العلل، وإليه تنتهي سلسلة المعلولات.

أو ممتنع الوجود، أي عدمه ضروري، فلا علّة لعدمه، كشريك الباري.

أو ممكن الوجود، أي ما تساوى فيه طرفا الوجود والعدم، بحيث إنّ وجد يسئل عن علّة وجوده، وإن عدم يسئل عن علّة عدمه.

فما بمشهدنا إمّا واجب الوجود فثبت المطلوب، أو ممكن الوجود فيستلزم الواجب حدوثاً وبقاءً، وإلّا يلزم الدور، بأن يفرض ممكنات بعضها علّة لبعض وبالعكس. أو التسلسل، بأن يفرض سلسلة غير متناهية من الممكنات، يكون كلّ سابق في السلسلة علّة للّاحق.

والأوّل باطل، إذ يلزمه أن يكون الشيء الواحد موجوداً ومعدوماً، إذ الدور توقّف الشيء على نفسه، وهذا مستحيل، فإنّه من اجتماع النقيضين، كما يلزمه أن يكون المتقدّم متأخّراً وبالعكس، وإنّ العلّة معلول وبالعكس، وغير ذلك من توالي الفساد.

والثاني باطل أيضاً، لأنّه إمّا أن يكون في السلسلة واجب، أي علّة غير معلولة فيلزم الخلف لأنّها تنتهي إليه إذ ليس له سابق، وكان المفروض عدم التناهي، مع أنّه إثبات للمطلوب، وإمّا أن لا يكون فيها واجب، فكان كلّ واحد من آحادها ممكناً، فيلزم أن يكون جميع آحادها معدومة، لأنّ الممكن لا يوجد لذاته بل لعلّته، وعلّته لو كانت ممكنة فحكمها حكمه حتّى ينتهي إلى ما هو موجود لذاته، وهو الواجب لذاته، والمفروض أنّها موجودة، وهذا خلف أيضاً.

والدليل الآخر على بطلان التسلسل دليل التطابق وهو: لو كانت هنا جملة علل ومعلولات غير متناهية من طرف، ومتناهية من طرف آخر وفصلنا من الطرف المتناهي آحاداً متناهية كعشرة منها، حصلت جملتان إحداهما من المعلول الأخير إلى ما لا يتناهى، والثانية من الحادي عشر إلى ما لا يتناهى، ثمّ نأخذ من مبدأ الجملة الثانية، أي الحادي عشر، ونطبّقها على الجملة الأُولى بحيث يقع الحادي عشر في عرض المعلول الأوّل، فالجملة الثانية أنقص من الأُولى بعشرة بالبديهة، مع انطباق طرفيهما المتناهيين، فيلزم تساوي الناقصة والزائدة وهو مستحيل، فإنّه من اجتماع النقيضين أو الضدّين، كما يلزمه من فرض عدمه وجوده أو بالعكس وهو مستحيل أيضاً.

ولمّا بطل الدور والتسلسل فيلزم إثبات واجب الوجود لذاته وهو خالق الكون وجميع الممكنات ممّا سواه جلّ جلاله.

٢ ـ دليل الحدوث (مسلك المتكلّمين):

وهو: النظر إلى الموجود من حيث هو حادث، فيقال: العالم متغيّر

بالبديهة، وكلّ متغيّر حادث، إذ مسبوق بالغير وهو الحدوث الذاتي، أو العدم وهو الحدوث الزماني، فالعالم حادث، وكلّ حادث له محدث، فللعالم محدث، ولا يكون حادثاً، فإنّه لو كان لاحتاج إلى آخر وهكذا، إلى أن ينتهي إلى محدث قديم أزلي غير حادث، دفعاً للدور والتسلسل.

٣ ـ دليل الحركة (مسلك الطبيعيين):

وهو: النظر في الموجود من حيث هو جسم ومتحرّك بالبديهة، فلا بدّ من محرّك غير متحرّك وهو الفاعل الأوّل. وأيضاً: الأجسام مركّبة، والمركّب لا بدّ له من بسيط، وكذا الأجسام كلّها مشتركة في الجسمية وكلّ منها يختصّ بحقيقة غير الجسمية، ولا بدّ للاختصاص من علّة، لامتناع الترجيح من غير مرجّح، وعلّة الترجيح ليست الجسمية المشتركة، ولا تلك الخصوصية، فهي خارجة عن الأجسام، بل العلّة الأُولى هو الصانع الأوّل البسيط المطلق.

٤ ـ دليل النظم:

بالبداهة كلّ ما فيه النظم، فإنّه يدلّ على ناظم ومنظّم حكيم قادر عليم، وهذا الكون من ذرّاته إلى مجرّاته له نظم خاصّ، لو اختلف بقدر شعرة لاحترق العالم، فلا بدّ له من صانع حكيم ومدبّر لا تأخذه سِنة ولا نوم، وإلّا فكيف للمادّة التي لا حياة فيها ولا إحساس ولا فكر ولا إبداع لهذا الكون الجبّار أن تؤثّر فيه؟ وكيف الأدنى مؤثّراً في الأعلى درجة؟ فهذا التكامل المعقول في أشكال الوجود على نطاق هذا الكون الرحيب لهو برهان ودليل قاطع على إثبات الصانع.

ولو تركت النظر في هذه الكائنات ونظرت إلى جسمك وما فيه من أعضاء

وأطراف وجوارح وجوانح وأنسجة وخلايا، أيقنت أنّ لك خالقاً ومصوّراً، ومن هذا المنطلق وردت الرواية الشريفة: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، فللكون صانع حكيم، بدلالة كلّ ما في هذا الكون من آيات الاتّساق والتدبير.

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[1].

٥ ـ دليل العلّة والمعلول:

من البديهي أنّ لكلّ معلول علّة، وفي هذا الكون نجد نظام وقانون العلّة والمعلول بوضوح، فلا بدّ لكلّ المعلولات من علّة أُولى تفيض على المعلولات الوجود من وجوده المطلق ومطلق الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى.

«سئل أعرابي: ما الدليل على وجود الله تعالى؟ فقال: البعرة تدلّ على البعير، والأثر يدلّ على المسير، فكيف بسماوات ذات أبراج وأرض فجاج لا تدلّان على اللطيف الخبير؟».

وهناك المئات من الأدلّة والبراهين العقلية كدليل الحسابات والاحتمالات القاطعة على إثبات الصانع جلّ جلاله، وأمّا الأدلّة النقلية التي شحنت بالأدلّة العقلية فحدّث ولا حرج من الآيات المحكمات والروايات الشريفة، إذ أوّل دعوة الأنبياء والأوصياء إنّما هي دعوة التوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى، ورفض جميع الآلهة.

وليس الإيمان بالله وانبثاق الحياة عنه مسألة فكريّة خالصة، لا علاقة لها

(١) فصّلت: ٥٣.

بالحياة، بل هي مسألة تتّصل بالعقل والقلب والحياة جميعاً.

«ولم يكن الإيمان بالله وليد تناقض طبقي أو من صنع مستغلّين ظالمين، لأنّ هذا الإيمان سبق في تاريخ البشرية أيّ تناقضات من هذا القبيل.

ولم يكن هذا الإيمان وليد الخوف تجاه كوارث الطبيعة، ولو كان الدين حصيلة الرعب، لكان أكثر الناس تديّناً على مرّ التاريخ أشدّهم خوفاً، مع أنّ الذين حملوا مشعل الدين على مرّ الأحقاب كانوا أشدّ الناس قوّةً وأصلبهم نفساً، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

بل هذا الإيمان يعبّر عن نزعة أصيلة في الإنسان إلى التعلّق بخالقه ووجدان راسخ يدرك بفطرته علاقة الإنسان بربّه وكونه».

المقام الثاني

صفات الله سبحانه وتعالى الجماليّة والجلاليّة

حينما نؤمن بالله سبحانه خالقاً للكون ومنظّماً لمسيرته ومربّياً له وفق الحكمة والتدبير، فلا بدّ أن نقف على صفاته من خلال خلقه وإبداعه هذا الكون، فإنّه يكشف عن علمه وحكمته، وما في أعماق هذا العالم الكبير من طاقات تحيّر العقول، يدلّنا وبكلّ سهولة على قدرته، وما فيه من الحياة والإدراك العقلي، تنقاد إلى حياته وأنّه حيّ قيوم، كما أنّ وحدة البناء في هذا الكون تشير إلى وحدة الخالق وأنّه لا شريك له.

فسبحانه وتعالى يتّصف بصفات كمالية، وهي: الصفات الثبوتية الذاتية، وهي عين ذات الله وليست زائدة عليها، وإلّا يلزم تعدّد القدماء وهو باطل كما هو ثابت في محلّه، وهي كالقدرة والعلم والحياة، فقدرته حياته، وحياته قدرته، فهي مختلفة في معانيها لا في حقائقها.

الصفات الثبوتية الفعلية، وهي ليست عين ذاته كالرزق، فإنّه يرزق المرزوق، في وقت دون وقت وشخص دون شخص، وذلك متى ما شاءت حكمته، وله الأسماء الحسنى، كما يتّصف بصفات جلالية وتسمّى بالصفات السلبية، فإنّه ليس بجسم، ولا مركّب، ولا في محلّ، ولا يتّحد مع غيره، وليس محلاً للحوادث، ولا يصحّ عليه الألم واللذّة، ويستحيل عليه الرؤية البصرية، وليس له شريك، وليس فيه المعاني والأحوال، فإنّه يجلّ عن ذلك كلّه، وهي ترجع إلى صفة واحدة، وهي سلب الإمكان عنه، لأنّه واجب الوجود لذاته،

فيلزمه سلب كلّ صفة ذكرت.

فهو سبحانه وتعالى قادر، بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك مع قصد وإرادة، والعالم التكويني لتغييره في سكونه وحركاته وأجسامه وأعراضه حادث، فالمؤثّر فيه لا بدّ أن يكون قادراً مختاراً، وإلّا يلزم أن يكون موجباً لم يتخلّف أثره عنه، فيلزم قدم العالم، أو حدوثه سبحانه وتعالى، وكلاهما باطل، فهو قادر مختار.

وهو عالم، لأنّه مختار، وكلّ مختار عالم، إذ فعله تابع لقصده، ولا يكون القصد من دون العلم، كما أنّ فعل الأفعال المحكمة كما يشاهدها كلّ من تدبّر في مخلوقاته وتعقّل آياته الآفاقية والأنفسية، وكلّ من يفعل ذلك عالم، فالله سبحانه عالم، وعلمه بكلّ المعلومات الكلّية والجزئية، لتساوي نسبة جميع المعلومات إليه، فإنّه يعلم السرّ وأخفى من السرّ، وذلك الذي سرّه الإنسان ثمّ نسيه، وما من رطب ولا يابس، وما من صغيرة ولا كبيرة، وما من ورقة تسقط إلّا علمها عند الله عزّ مقامه.

وإنّه حيّ، لأنّه قادر وعالم، فيكون حيّاً بالضرورة.

وإنّه مريد، إذ أمر ونهى، كما أنّ إيجاد الأفعال في وقت دون آخر دليل على المخصّص، ولا يكون إلّا بالإرادة، فهو مريد.

وإنّه مدرك، لأنّه حيّ، فهو مدرك، والإدراك أخصّ من العلم كما دلّ على أنّه مدرك النقل، من الآيات والروايات الشريفة.

وإنّه قديم أزلي باقٍ أبدي، لأنّه واجب الوجود لذاته، فيستحيل عليه العدم مطلقاً، فهو الأوّل وهو الآخر، وهو الظاهر وهو الباطن.

وإنّه متكلّم صادق، فإنّه يوجد الكلام في جسم من الأجسام، كما عليه

الآيات والروايات والإجماع، ولا يكذب، لأنّه قبيح بالضرورة، والله منزّه عن القبائح، إذ يلزمه الجهل أو العجز أو الغفلة وغير ذلك من النقص، والله كمال مطلق ومطلق الكمال، مستجمع لجميع الصفات الكمالية في الجهات، فإنّه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، والعبادة والمحبّة والإخلاص.

فهو واحد أحد، ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال، سميع بصير، لا يوصف به المخلوقات، ولم يكن له كفواً أحد.

وما أروع ما قاله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة الشريف:

«وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصفه سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله».

وقال في دعاء الصباح:

«يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلّجه، وسرح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه، وأتقن صنع الفلك الدوّار في مقادير تبرّجه، وشعشع ضياء الشمس بنور تأجّجه، يا من دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة كيفيّاته، يا من قرب من خطرات الظنون، وبعد من لحظات العيون، وعلم بما كان قبل أن يكون».

الأصل الثاني

العدل

الأصل الثاني من أُصول الدين: العدل الإلهي، وهو من صفاته تعالى الثبوتية الفعلية الكمالية، فإنّه عادل غير ظالم، فلا يجور في قضائه، ولا يحيف في حكمه، يثيب المطيعين، وله أن يجازي العاصين، ولا يكلّف عباده ما لا يطيقون، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقّون، وهو منزّه عن الظلم وفعل ما هو قبيح.

وإنّما جعل العدل أصلاً، لما يبتنى عليه من القواعد الإسلامية، بل الأحكام الدينية مطلقاً، وبدونه لا يتمّ شيء من الأديان، ولا يمكن أن يعلم صدق النبي ونجاته على الإطلاق.

والعدل لغةً: بمعنى وضع الشيء في موضعه، أو الحدّ الوسط بين الإفراط والتفريط، أي الحكمة.

واصطلاحاً: إنّ الله عادل لا يظلم أحداً، ولا يخلّ بواجب، وكلّ ما يصدر منه فهو على حكمة ربّانية وعدالة إلهية، والعدالة الاجتماعية مظهر من مظاهر العدل الإلهي.

وحاصل كلام العدلية :

إنّ الفعل لا يصدر منه تعالى إلّا بعلل غائية، تسمّى بالأغراض، وهي : المنافع العائدة إلى الخلق، ولا يفعل ما لا نفع لهم فيه، أو ما فيه ضرر عليهم، والعذاب بهم يوم القيامة أو في الدنيا، وإن كن من فعله سبحانه، إلّا أنّه تابع لسوء اختيارهم، بحسب وعيده، وليس ذلك ظلماً منه تعالى، بل الناس أنفسهم يظلمون.

فإنّ الأفعال الإنسانية تصدر من الإنسان بالاختيار، ولا جبر ولا تفويض، بل أمرٌ بين الأمرين، وهي تتّصف بالحسن والقبح الذاتيين العقليين.

فمنها : حسن عقلاً.

ومنها : قبيح عقلاً.

والله سبحانه منزّه عن القبائح وإن كان قادراً عليها، فلا يفعل القبيح ولا يريده؛ إذ لا يكون ذلك إلّا من العاجز الجاهل الغافل.

والله هو القادر العالم، لا تأخذه سِنة ولا نوم، ويفعل لحكمة وغرض، وهو تعريض العباد للثواب فيكلّفهم، ويريد الطاعات ويكره المعاصي من العباد كلّهم بالإرادة والكراهة التشريعيتين سواء وقعت بإرادة العباد أم لم تقع، فإرادته : أمره تعالى، أو ربما يتخلّف المأمور به عن الأمر فهو ممكن، فإرادته لفعل العبد طاعة كان أو معصية، لا تكون إلّا بأسباب ومنها إرادة العبد، وهو مخيّر في إرادته وأفعاله وليس مسيّراً ولا ملجأً ولا ممنوعاً، فهداه الله النجدين، وهداه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً، ليس للإنسان إلّا ما سعى.

والله سبحانه لطيف بعباده، وخلقهم ليكلّفهم بطاعته وعبادته، وكلّفهم بها

ليجعلهم في معرض الثواب والسعادة الدائمة، وجعلهم في معرض ذلك ليحصل لهم ذلك بالاستحقاق، فإنّه تعالى أزاح علل المكلّفين فيما يحتاجون إليه بالقدرة والآلات، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأمرهم بما يصلح لهم فعله، كما نهاهم عمّا يضرّهم فعله، ومن خالف فقد أتى من قبل نفسه لا من قبله سبحانه وتعالى.

فاللطف بمعنى ما يحصل به غرضه تعالى واجب عليه عقلاً، لأنّ نقض الغرض بترك ما له دخل في حصوله قبيح، والله منزّه عن القبائح، فهو الكمال المطلق ومطلق الكمال.

واللطف بمعنى ما يقرب العبد إلى الطاعة، وبه يبتعد عن فعل المعصية لا بنحو الإلجاء والقهر، بل يكون المكلّف بدونه متمكّناً من الطاعة وترك المعصية، فإنّه واجب على الله ذلك أيضاً، ولكن لما هو مقتضى جوده ورأفته.

وخير دليل على العدل الإلهي، بل جميع أُصول الدين : الفطرة السليمة؛ فإنّ العقل الفطري السليم يدرك أنّ الظالم والخائن جدير بالمؤاخذة، وإنّ العادل الأمين جدير بالمثوبة، والله يجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، كما إنّه سبحانه وتعالى يؤكّد على عدالته في كتابه الكريم :

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

ويذمّ الظالمين ويندّد بهم، فكيف يكون سبحانه وتعالى ظالماً :

---

(١) الزخرف : ٧٦.

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[١].

﴿ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٢].

وكيف يأمرنا بالعدل في المجتمع وهو لا يتّصف به :

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ ﴾[٣].

فهو منزّه عن كلّ شين ونقص، وقد سئل مولانا أمير المؤمنين عن التوحيد والعدل ـ كما في نهج البلاغة ـ فقال :

«التوحيد أن لا تتوهّمه، والعدل أن لا تتّهمه».

وما أروع ما قاله عليه السلام، فقد أوجز وأبلغ في الأداء.

فنعتقد أنّ أفعاله كلّها على حكمة ومطابقة للعدالة، ومن عدله وبرّه بخلقه أوجب على نفسه أن يرسل إليهم رسلاً، ليعلّموهم ويرشدوهم إلى ما يريده منهم، ليسعدوا في الدارين :

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٤].

وأخيراً في أصل العدل مباحث كثيرة قيّمة ونافعة، كمسألة الحسن والقبح الذاتيين العقليين والجبر والتفويض والقضاء والقدر والهداية والضلالة والألم، ووجه حسنه، والأعواض والآجال والأرزاق والأسعار والأصلح، وحقيقة

(١) الدهر : ٣١.

(٢) هود : ٤٤.

(٣) النحل : ٩٠.

(٤) النساء : ١٦٥.

اللطف وغير ذلك، وهي مذكورة في المفصّلات من كتب الكلام وأسفار الفلسفة الإسلامية.

والعدلية في الواقع والحقيقة أعطوا قيمة للعقل، وإنّه الرسول الباطني كما ورد في الأخبار، كما للأفعال قيمة ذاتية من دون تحسين وتقبيح شرعي، فليس ذلك من الشرع فقط، بل للعقل أصالة في استنباط الحكم من الحسن والقبح وغير ذلك، كما للعدل الإلهي أهمية بالغة في تكوين المجتمع الإسلامي وتعديل حقوله وجوانبه، فلا ظلم ولا جور ولا تعدّي ولا إجحاف ولا إسراف ولا تكدّي ولا غير ذلك من المفاسد الاجتماعية والفردية.

فالله جلّ جلاله عادل حكيم، لا يخلّ بواجب ولا يفعل القبيح، ولا يظلم العباد، ولو لم يكن كذلك، لكان ناقصاً، تعالى الله عن ذلك، ولو فعل القبيح لجاز عليه الكذب، فيرتفع الوثوق بوعده ووعيده، فترتفع الأحكام الشرعية، فينتقض الغرض المقصود من بعثة الأنبياء والرسل، ويصبح كلّ شيء هباءً منثوراً.

ولهذا جعل العدل أصلاً ثانياً من أُصول وأساس الدين، وقيل : هو من أُصول المذهب، على أنّ الفرق التي تدّعي الإسلام تشترك كلّها في أُصول ثلاثة، وهي عبارة عن : التوحيد والنبوّة والمعاد.

وأمّا العدل والإمامة، فهما من أُصول المذهب، وفيه نظر وتأمّل، وسمّي من يعتقد بالعدل الإلهي ـ وهم المعتزلة والإمامية ـ بالعدلية، وأمّا الأشاعرة فهم يدّعون الحرّية الإلهية ونفي الحسن والقبح الذاتيين العقليين، وهم في خبط ووهم.

إذ لا منافاة بين الحرّية الإلهية وبين العدل الإلهي عقلاً وسمعاً، فإنّ الله سبحانه وتعالى عادل غير ظالم بصريح البراهين العقلية والأدلّة النقلية، من الكتاب والسنّة وبالفطرة السليمة الخالية عن الشوائب والمطهّرة عن المعاصي والذنوب، وإنّه هو الذي كتب على نفسه الرحمة والعدل مع مطلق حرّيته، وإنّه يَسأل ولا يُسأل، فلا منافاة بين الحرّية الإلهيّة والعدل الإلهي.

الأصل الثالث

النبوّة

من أُصول الدين وأركانه: النبوّة.

ويقع الكلام فيه في مقامين: النبوّة العامّة، والنبوّة الخاصّة.

والأوّل: ما يتحدّث فيه عن مفهوم النبوّة وضرورتها في المجتمع البشري وشرائطها وكيفية معرفتها، ويسمّى بالنبوّة العامّة.

والثاني: يتحدّث عن نبوّة خاتم النبيين محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وأنّه أفضل الأنبياء، ويتحدّث عن معاجزه ـ لا سيّما القرآن الكريم ـ ويسمّى بالنبوّة الخاصّة.

المقام الأوّل
النبوّة العامّة

النبيّ هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر، والبعثة حسنة لاشتمالها على فوائد كثيرة لا تحصل إلّا بالنبوّة، وأدلّ دليل على ذلك الفطرة والعقل السليم النزيه من الشهوات والطاهر من المعاصي، فإنّها كما تشاهد الربّ ووحدته في إثبات الصانع وتوحيده، تطالب الهداية من ربّها إلى ما في العالم من الحقائق والمعارف، وإلى ما يسعده الإنسان ويصلح معاشه ومعاده، وما يفسده ويوجب شقاوته، بعدما علم من نفسه عدم الاهتداء إلى ذلك، ودوام حيرته في حياته.

وهذا من نداء الفطرة، وهي ذات منزلة رفيعة عند باريها، إذ هي من حقيقة التوحيد، فالغاية من بعثة الأنبياء مطالبة الفطرة لإقامة العدالة الاجتماعية، فإنّها تصرخ بأنّ الأرض لا تخلو من الحجّة، وأوّل من وجد في الدنيا حجّة الله، وآخر من يفقد منها حجّة الله، فيجب عن الله من باب اللطف أن يكلّم عباده ويهدي الناس إلى ما هو الحقّ، وقد خلقهم لعبادته للوصول إلى رحمته وللتكامل.

كما أنّ العقل يحكم بحسن وجود الإنسان الكامل من جميع الجهات الإمكانية وكمال فائدته، بل بوجوبه؛ إذ بالنبوّة يحصل اللطف في حقّ المكلّف.

فالبعثة من أعلى مصاديق اللطف المحصّل للغرض والقرب من الطاعة والبعد من المعصية فهي واجبة، وبالنبوّة يندفع الخوف الحاصل عند المكلّف في تصرّفاته، بأنّها ربما لا ترضي الله سبحانه، وبها يعتضد العقل في أحكامه، ويعرف

الحسن والقبح والمنافع والمضارّ، وبها يحفظ النوع الإنساني، فإنّه مدنيّ الطبع أنانيّ الذات، فيحتاج إلى سنن وقوانين اجتماعية، ولا يفوّض الأمر إليه، إذ يجرّ النار إلى قرصته، فيقع التناحر والتنازع، فلا بدّ من وجود من ينصبه الله لوضع برامج الحياة وتعديل نظامها، والناقص في الغاية كالإنسان لا يناسب الكامل المطلق سبحانه وتعالى، فلا بدّ من واسطة يحصل الكمال له منه بسببه، يصطفيه الله ويختاره من البشر، ليكمل البشرية ويعلّمهم نظام الحياة السليمة.

وأمّا شرائط النبيّ :

فيجب فيه العصمة، وهي لطف من الله في أنبيائه، إذ نفس النبيّ بما هي، نفس إنسانية، تقتضي نظائر ما يصدر عن غيره من المعاصي والذنوب، ولكن لها حاجز لسدّ باب ذلك الاقتضاء وتبعاتها، وذلك الحاجز هو قوّة نفسه وعقله من جهة كمال علمه وإحاطته بمبادي الخطايا والذنوب وآثارها، ولا يغفل طرفة عين عن حضور الله سبحانه، فيمتنع عن الارتكاب لا على نحو القهر والإلجاء، ويعصم من الذنوب كلّها، ومن كلّ ما يشينه.

وإنّما تجب العصمة في النبيّ، ليحصل الوثوق بكلامه، فيحصل الغرض من النبوّة من انقياد الناس إليهم وامتثال أوامرهم.

وإذا فعل المعصية فإمّا أن يتّبع، وكيف ذلك وهي معصية ؟ أو لا يتّبع، وهذا ينافي مقام النبوّة، وإذا فعل المنكر وجب الإنكار عليه للنهي عن المنكر العام الذي يشمل النبيّ، ولازم ذلك إيذاء النبيّ، وهو منهيّ عنه.

فلا بدّ حينئذٍ أن نعتقد بعصمة الأنبياء عن الذنوب كلّها ـ صغيرها وكبيرها ـ وعن السهو والنسيان والغفلة وكلّ ما يشين بمقام نبوّته، فيشترط فيه كمال العقل

والذكاء وقوّة الرأي والنزاهة عن كلّ ما ينفر عنه الطبائع من دناءة الآباء وعهر الأُمّهات وغير ذلك، لئلّا يحصل التنفّر منه المنافي لغرض النبوّة.

ولا بدّ أن يكون معصوماً من أوّل عمره الشريف إلى آخره، لعدم انقياد القلوب إلى طاعة من عهد منه في سالف عمره أنواع المعاصي من الكبائر والصغائر وما ينفر منه القلب.

كما يجب أن يكون أفضل أهل زمانه، لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً وسمعاً، فإنّ المفضول المفتقر إلى التكميل كيف يقدم على الفاضل الكامل، فذلك قبيح من الحكيم الخبير، فمن كان مبتدياً في علم المنطق كيف يقدم على مدوّن العلم أرسطوطاليس؟ وهكذا باقي العلوم والفنون، وقد قال تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه:

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1].

هذا وطريق معرفة النبيّ هو ظهور المعجزة على يديه مع ادّعائه النبوّة، فلو تحقّق وثبت منه ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ـ وهذه هي المعجزة ـ فإنّه يدلّ على نبوّته، فإذا قال: إنّي نبيّ الله ومعجزتي قلب العصا حيّة أو إحياء الموتى، أو شقّ القمر، وحصلت هذه الأُمور كما هي، عرف أنّه صادق مصدّق في دعواه، ويجب حينئذٍ بصريح حكم العقل تصديقه وإطاعته. ولو كان كاذباً وتظهر المعجزة على يديه للزم إغراء الله الناس بالكذب والكذّاب، وهذا قبيح من القادر العليم، والله منزّه عن القبائح، لأنّه غنيّ واجب الوجود لذاته.

(١) يونس: ٣٥.

وتجب البعثة في كلّ وقت لتكون الحجّة البالغة لله سبحانه، فلا بدّ من الحجّة في الأرض كائناً من كان، فلولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها، فهو يدعو إلى الله سبحانه وينشر الشريعة السماوية السمحاء، ويهدي الناس إلى سواء السبيل والصراط المستقيم، ويعلّمهم الكتاب والحكمة، ويقوم بينهم بالعدل.

والمعروف كما ورد في أخبارنا الشريفة أنّ الله سبحانه وتعالى بعث مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول، أوّلهم آدم أبو البشر عليه السلام، وخاتمهم سيّد البشر وأشرف خلق الله محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وخمسة منهم أنبياء أُولي العزم أي أصحاب شريعة إلى الناس كافّة وأصحاب كتب سماوية، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السلام، وحلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، إنّ الدين عند الله الإسلام.

المقام الثاني
النبوّة الخاصّة

قد ختمت النبوّة بالرسول الأعظم محمّد ﷺ منجي عالم البشرية جمعاء من حضيض الجهل والشقاء إلى وادي العلم والسعادة والهناء.

وإنّما نعتقد بنبوّته وأنّه خاتم النبيّين، لأنّه ادّعى النبوّة من عند الله كما لا يخفى على أحد من العالمين، فإنّه ثبت ذلك بالتواتر، والتواتر من البديهيات، ثمّ ظهرت المعاجز على يديه المباركة وفق دعواه، وكلّ من كان كذلك كان نبيّاً حقّاً من عند الله سبحانه وتعالى، وهذا قياس من الشكل الأوّل بديهي الانتاج، ومعاجزه كثيرة بلغت الألف ونيّف كشقّ القمر وتكلّم الحصى بيده وغير ذلك كما هي مسطورة في الكتب المصنّفة في هذا المقام.

ومعجزته الخالدة إلى يوم القيامة هو القرآن الكريم، كتاب الله القويم، الذي يهدي للتي هي أقوم ولا يأتيه الباطل، وقد تحدّى القرآن الكريم أن يؤتى بمثله ولو في سورة أو آية، وإن اجتمعت الإنس والجنّ، وكان بعضهم لبعضٍ ظهيراً.

ولا ينحصر إعجاز القرآن في الفصاحة والأُسلوب، بل هما والمعارف الحقّة في عالم الطبيعة وما وراءها، والصفات الإلهية والأخلاق الحميدة والأحكام التشريعية والسياسات المدنية، والأخبار المغيّبة، وأحوال المبدأ والمعاد، وعدم الاختلاف والتناقض في آياته، وغير ذلك ممّا هو ظاهر الكتاب الكريم، مع ما في بواطنه من أسرار وحكم وخواصّ وعجائب وعلوم، لم تنكشف للبشر ولا زالت مجهولة إلّا النزر القليل جدّاً، وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً،

ولا يمسّه إلّا المطهّرون.

فالقرآن المجيد معجز لكلّ من عنده فنّ من فنون المعارف والعلوم، فإنّه يراه متعالياً في ذلك الفنّ، ولم يقدر أحد من الناس إلى يومنا هذا وغد، أن يورد على حرف منه شيئاً إلّا عناداً وجهلاً، وقد أدمغ جهله بجوابٍ كاف، وهذا معجز من أيّ إنسانٍ صدر، كيف وقد جاء من النبيّ الأُمّي وقد بعث من الأُميين؟ فالرسالة الإسلامية المحمّدية الأصيلة التي طلع بها النبيّ الأكرم ﷺ إلى كافة الناس إلى يوم القيامة وعلى العالم أجمع إنّما هي متمثّلة في القرآن الكريم.

وقد تميّزت الشريعة الإسلامية الحنيفة بخصائص ومميّزات كثيرة، في ثقافتها الإلهية المتجاوبة مع الفطرة السليمة، وبقيم ومفاهيم عن الحياة والإنسان، والعمل والعلاقات الاجتماعيه، من أروع ما عرفه تاريخ الإنسان، من قيم حضارية وتشريعات اجتماعية:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الإيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[2].

فما أعظم القرآن الكريم ومن معجزاته الخالدة أنّه كلّما تقدّم الزمن وتقدّمت العلوم والفنون فهو باقٍ على طراوته وحلاوته، على سموّ مقاصده

---

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الجمعة: ٢.

وأفكاره.

فنعتقد أنّ صاحب الرسالة الإسلامية، خاتم النبيين وسيّد المرسلين وأفضلهم على الإطلاق، كما أنّه سيّد البشر جميعاً، وإنّه لعلى خلقٍ عظيم.

وعلينا أن نوقّر دينه ونعظّم قرآنه بالقول والعمل، ولا يمسّه إلّا المطهّرون، فسعادتنا وعزّتنا وكرامتنا في القرآن الكريم.

ألا وإنّ السعادة والشرف والكرامة لا تعود لهذه الأُمّة إلّا إذا عادت إلى القرآن الكريم علماً وعملاً وخلقاً وأدباً، فهو الذي يرقى بهذه الأُمّة إلى سماء الفضيلة والعلم والأخلاق، ويحدّد لها النصر ورفعة الذكر وعلوّ القدر، وما فقدته من ثروة وقوّة وحضارة وعمران، ففيه ما يخرج البشرية من الظلمات إلى النور، وهو منهل تربية وخلق، وينبوع تشريع وقوانين رصينة، وآية أدب وفنّ، وهو كتاب عقيدة وجهاد من أجل الفضيلة، وهو رائد الخير والإحسان والعدالة، وقائد الحرّية والاستقلال والشرف، وهو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض، إنّه من لدن حكيم.

الأصل الرابع

الإمامة

من أُصول الدين: الإمامة.

فهي صنو النبوّة، لأنّ ما يحصل بها من الأغراض يحصل بالإمامة الحقّة التي هي في خطّ النبوّة وديمومتها.

والكلام فيه يقع في مقامين:

الأوّل: في المفهوم والمعنى الكلّي للإمامة وما يلزمها من شرائط، ولنصطلح عليه: الإمامة بالمعنى الأعمّ.

الثاني: تعيّن ومصداق الإمامة والخلافة بلا فصل للنبيّ المختار. وبعبارة أُخرى: من هو الإمام والخليفة حقّاً بعد الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ؟

المقام الأوّل
الإمامة العامّة

الإمامة : سنّة تكوينيّة، وإنّها رياسة عامّة في الدين والدنيا لشخص من الأشخاص، نيابة عن النبيّ صلى الله عليه وآله بنصّ من الله ورسوله.

وبهذا التعريف يخرج إمام الضلالة والردى الذي يدعو إلى النار.

الإمامة لطف من الله، إذ به يتقرّب الإنسان إلى الطاعة ويبتعد عن المعصية، وبه يحصل الغرض من الشريعة السماوية، فعلى الله سبحانه أن ينصب إماماً لهداية الناس بعد النبيّ، بالأدلّة العقلية والنقلية :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[1].

ويأمرهم بالمعروف والعدل والإحسان، وينهاهم عن المعاصي والمنكرات، ويلقي إليهم المعارف الإلهية وعلوم الأحكام، ويهديهم إلى المصالح الدنيوية، ولا يكفيهم كتاب الله إلّا مع الذي عنده علم الكتاب، كما بيّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، فوجود الإمام لطف وتصرّفه لطف آخر، وعدمه منّا.

ولا بدّ أن يكون معصوماً عن كلّ ما يشين بمقام الإمامة، والعصمه لطف يفعله الله تعالى بالعبد بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليها، وإلّا لما كان للمعصوم فضيلة. وإنّما تجب العصمة في الإمام من أوّل ولادته

(١) الأنبياء : ٧٣.

إلى آخر عمره الشريف كالنبيّ، لأنّه لولا ذلك لافتقر إلى إمام آخر يسدّده، فيلزمه التسلسل، ولو جاز عليه فعل الخطيئة، فإن وجب عليه الإنكار سقط محلّه من القلوب فلا يتّبع، فينتفي الغرض من إمامته، وإن لم يجب الإنكار سقط النهي عن المنكر، وهو باطل.

وكيف لا يكون معصوماً وهو حافظ للشرع، فلم تؤمن منه الزيادة والنقصان لولا العصمة، ولولاها للزم حقارة الدين، ولا يعرف العصمة إلّا ربّ الأرباب سبحانه وتعالى، فعلى الله ورسوله أن ينصّا على الإمام المعصوم، كما أنّ سيرة النبيّ دلّت على ذلك، فإنّه كان أشفق بالناس من الوالد على ولده، حتّى أرشدهم إلى أشياء لا نسبة لها إلى الخلافة والوصابة بعده، كما أنّه سافر عن المدينة المنوّرة واستخلف فيها من يقوم بأُمور المسلمين ـ كما حدّثنا التاريخ بذلك ـ فكيف يترك الناس من بعده سدى ؟ وكيف يكون أمر الإمامة موكول إلى العباد، وكلّ واحد أناني الذات ويجرّ النار إلى قرصته.

ولا بدّ أن يكون الإمام أفضل من غيره بعد النبيّ، إذ يقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلاً :

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴾[1].

(١) يونس : ٣٥.

المقام الثاني
الإمامة الخاصّة

اعلم أنّ الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والخلافة والوصاية والولاية بلا فصل، إنّما هي لمولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، للأدلّة النقلية والعقلية، وقد عدّها العلّامة الحلّي قدس سره إلى أكثر من ألف دليل عقلي ونقلي في كتابه الشريف (الألفين).

ومن أهمّ الأدلّة: أنّ من شروط الإمامة العصمة، ولا معصوم بعد النبيّ إلّا أمير المؤمنين عليّ بالإجماع، فهو الإمام حقّاً بلا فصل، كما ذكر الله في كتابه الكريم ذلك في آية التطهير والمباهلة والإطاعة والزكاة والإطعام وعشرات الآيات الكريمة، كما نصّ النبيّ صلى الله عليه وآله عليه بروايات متواترة، كحديث الغدير والطائر والمنزلة وغير ذلك، كما أنّه أفضل الأُمّة في جميع الفضائل النفسانية والبدنية والخارجية.

وقد ظهرت على يديه المعاجز والكرامات، وقد ادّعى الإمامة، وكلّ من كان كذلك فهو الإمام حقّاً وصدقاً، وإلّا يلزم على الله إغراء الناس وهو قبيح، والله منزّه عن القبائح سبحانه وتعالى.

كما أنّ الأُمّة الإسلامية أجمعت على خلافته دون غيره، فقد وقع الخلاف في خلافتهم وثبت عدم صلاحيتهم لها، فعليّ عليه السلام أحقّ بها، كما أجمعت الأُمّة أنّ الخلافة لعليّ، وبطلت إمامة غيره بالآية الشريفة:

﴿ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[1].

و ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

وكان أكثر عمر مدّعي الخلافة ـ غير عليّ عليه السلام ـ في الشرك، فلا ينالوا عهد الله، وهي الإمامة، لسياق الآية، فثبت أنّ الخلافة لعليّ عليه السلام، إذ لم يشرك بالله طرفة عين أبداً، ولم تأخذه في الله لومة لائم، وكرّم الله وجهه لأن يسجد لغير الله.

والأدلّة في ذلك لا تحصى كثرة، وصنّف في هذا المضمار جماعة من أكابر العلماء مصنّفات كثيرة لا يمكن حصرها، وما أجمل ما قيل في حقّه:

«ما أقول في رجلٍ كتم أعداؤه فضائله حسداً، وكتم أحبّاؤه فضائله خوفاً، وظهر في بين هذا وذاك ما ملأ الخافقين».

ثمّ إنّ الإمامة من بعده لولده الأكبر الحسن المجتبى، ثمّ ابنه الثاني الحسين سيّد الشهداء، ثمّ ولده عليّ بن الحسين زين العابدين، ثمّ ولده محمّد بن عليّ الباقر، ثمّ ولده جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ ولده موسى بن جعفر الكاظم، ثمّ ولده عليّ بن موسى الرضا، ثمّ ولده محمّد بن عليّ الجواد، ثمّ ولده عليّ بن محمّد الهادي، ثمّ ولده الحسن بن عليّ العسكري، ثمّ ولده الحجّة القائم المنتظر صاحب الزمان عليهم السلام.

وإنّ الحجّة المنتظر عليه السلام حيّ يرزق، وقد غاب عنّا في غيبةٍ صغرى وكبرى، وينتفع العالم به كالشمس وراء السحاب، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، وبيمنه رزق الورى، وهو السبب المتّصل بين السماء والأرض، وسيملأ الأرض قسطاً

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) لقمان: ١٣.

وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأفضل الأعمال انتظار فرجه، إذ بمثل هذا الانتظار يهذّب الإنسان نفسه ويتمسّك بدينه، اللهمّ سهّل أمره وعجّل فرجه، واجعلنا من خيرة شيعته وأنصاره والمستشهدين بين يديه.

والدليل على إمامة هؤلاء الأئمة الأطهار، وكلّهم نور واحد عليهم السلام، هو النصّ، بالنقل المتواتر عند الفريقين من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله على إمامتهم إجمالاً، كقوله:

«الأئمة بعدي اثنا عشر، كلّهم من قريش».

أو تفصيلاً، كقوله للحسين عليه السلام:

«هذا ابني، إمام ابن إمام أخو إمام، أبو الأئمة التسعة، تاسعهم قائمهم».

وغير ذلك من النصوص الكثيرة.

وقد اشترطنا العصمة في الإمام، وليست إلّا فيهم بالإجماع، ولولاهم للزم خلوّ الزمان عن المعصوم، وذلك محال، فلولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها، وقد نصّ كلّ إمام سابق على لاحقه، وظهرت المعاجز الخارقة للعادة على أيديهم مع ادّعائهم الإمامة، وأنّهم أفضل من غيرهم في زمانهم، فقد جمعوا الصفات الكاملة والكمالات النفسانية والبدنية، ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل، فهم أحقّ بالرئاسة العامّة من غيرهم.

هذا واللطف الواجب عن الله في الإمامة، هو: نصبه وتكليفه بالإمامة، وقد فعل، فلم يكن مخلاً بالواجب، وإنّما الإخلال من قبل الرعية، فلم يراعوا حقوقه ولم يمتثلوا أمره، بل حاربوه، فهلاكهم من قبل أنفسهم، وعدم حضوره وغيبته منّا، لا من الله اللطيف سبحانه وتعالى.

اللهمّ اجعلنا من المتمسّكين بولايتهم، واحشرنا في زمرتهم، وأمتنا على

محبّتهم، واجعل محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم، وأدّبنا بآدابهم وأخلاقهم، واجعلنا من خلّص شيعتهم وخيرة مواليهم، آمين ربّ العالمين.

وإليك أيّها المطالع الكريم هذا الجدول المبارك، الذي يشتمل على الأسماء المقدّسة للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، وآباءهم ومواليدهم ووفياتهم وأمكنة قبورهم، وقد استخرجت من كتب: الإرشاد، وتوضيح المقاصد، وأحسن التقويم، وكشف الغطاء، وكشف الغمّة، والدروس، وغيرها من الكتب المعتبرة.

الاسم	اللقب	الكنية	الأب	الأُم
محمّد صلى الله عليه وآله	المصطفى	أبو القاسم	عبد الله	آمنة بنت وهب
علي عليه السلام	أمير المؤمنين	أبو الحسن	عمران أبو طالب	فاطمة بنت أسد
فاطمة عليها السلام	الزهراء	أُمّ الأئمة	محمّد النبيّ الأكرم	خديجة بنت خويلد
الحسن عليه السلام	المجتبى	أبو محمّد	عليّ أمير المؤمنين	فاطمة الزهراء
الحسين عليه السلام	سيّد الشهداء	أبو عبد الله	عليّ أمير المؤمنين	فاطمة الزهراء
علي عليه السلام	زين العابدين	أبو محمّد	الحسين سيّد الشهداء	بنت يزدجرد
محمّد عليه السلام	الباقر	أبو جعفر	عليّ السجّاد	فاطمة بنت الحسن
جعفر عليه السلام	الصادق	أبو عبد الله	محمّد الباقر	أُمّ فروة
موسى عليه السلام	الكاظم	أبو إبراهيم	جعفر الصادق	حميدة البربرية
علي عليه السلام	الرضا	أبو جعفر	موسى الكاظم	نجمة
محمّد عليه السلام	التقي	أبو جعفر	عليّ الرضا	سبيكة
علي عليه السلام	النقي	أبو الحسن	محمّد الجواد	سمانة
الحسن عليه السلام	العسكري	أبو محمّد	عليّ الهادي	حديث
محمّد عليه السلام	صاحب الزمان	أبو القاسم	الحسن العسكري	نرجس

الاسم	يوم الولادة	سنة الولادة	مدّة الإمامة	يوم الوفاة	سنة الوفاة	المدفن
رسول الله	١٧ ربيع الأوّل	عام الفيل	النبوّة ٢٣ سنة	٢٨ صفر	١١ هـ	المدينة الطيّبة
أمير المؤمنين	١٣ رجب	٣٠ بعد عام الفيل	٣٠ سنة	٢١ رمضان	٤٠ هـ	النجف الأشرف
الزهراء	٢٠ جمادى الثانية	٥ بعد البعثة	ـــ	٣ جمادى الأُولى	١١ هـ	المدينة الطيّبة
				أو١٣جمادى‌الثانية		
الحسن	١٥ رمضان	٣ هجري	١٠ سنين	٧ أو ٢٧ صفر	٥٠ هـ	البقيع
الحسين	٣ شعبان	٤ هجري	١١ سنة	١٠ محرّم	٦١ هـ	كربلاء المقدّسة
زين العابدين	١٥ جمادى الأولى	٣٦ هـ	٣٤ سنة	١٢ أو ٢٥ محرّم	٩٥ هـ	البقيع
الباقر	٣ صفر	٥٧ هـ	١٩ سنة	٧ ذي الحجّة	١١٤ هـ	البقيع
الصادق	١٧ ربيع الأوّل	٨٣ هـ	٣٤ سنة	٢٥ شوّال	١٤٨ هـ	البقيع
الكاظم	٧ صفر	١٢٨ هـ	٣٥ سنة	٢٥ رجب	١٨٣ هـ	الكاظمين
الرضا	١١ ذي القعدة	١٤٨ هـ	٢٠ سنة	آخر صفر	٢٠٣ هـ	مشهد المقدّس
الجواد	١٠ رجب	١٩٥ هـ	١٧ سنة	آخر ذي القعدة	٢٢٠ هـ	الكاظمين
الهادي	١٥ ذي الحجّة	٢١٢ هـ	٣٤ سنة	٣ رجب	٢٥٤ هـ	سامراء
العسكري	١٠ ربيع الثاني	٢٢٢ هـ	٦ سنين	٨ ربيع الأوّل	٢٦٠ هـ	سامراء
المهدي	١٥ شعبان	٢٥٥ هـ	إلى آخر الزمان	العلم عند الله	والله العالم	ـــ

الأصل الخامس

المعاد

من أُصول وأركان وأساس الدين: المعاد والإيمان بيوم القيامة، فالمسلم يعتقد أنّ كلّ من اتّصف بالحياة فإنّه يعاد بعد الموت بمعاد روحاني وجسماني، وذلك بالأدلّة العقليّة والسمعية.

فقد اتّفق المسلمون كافة على ذلك، ولولاه لقبح التكليف، فإنّه مشقّة لا بدّ فيه من التعويض والجزاء، وربما لا يكون هذا في الدنيا، كما نشاهد ذلك، فلا بدّ من دار ومكان آخر وهو يوم القيامة الذي يجسّد لنا الجزاء.

وإحياء الأجسام ممكن، والله قادر على الممكنات جميعاً، وقد أخبرنا الصادق المصدّق النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ومن قبله الرسل والأنبياء بذلك، فيكون حقّاً، كما دلّت الآيات المحكمات والروايات الشريفة عليه، وأنكرت على من جحده وغفل عنه.

وإنّ إعادة من له عوض أو عليه عوض كالإنسان واجب، وقد أخبر المعصوم عليه السلام بذلك، فهو حقّ بلا شكّ ولا ريب.

فالمعاد وبعث الناس بعد الموت وحشرهم في خلق جديد، في ذلك اليوم الموعود به العباد حقّ حقيق، يثيب الله المطيعين ويعذّب العاصين والظالمين،

وينتصف من الظالم للمظلوم، وكلّ من يعتقد بالمبدأ لا بدّ أن يعتقد بالمعاد، وكلّ من يعتقد بالنبوّة والإمامة لا بدّ أن يعتقد بالمعاد، فالشكّ فيه يلزمه الشكّ في باقي أُصول الدين.

وإنّما آمنّا بالمعاد الجسماني لصريح القرآن الكريم:

﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1].

وكثير من الآيات والأحاديث الشريفة تدلّ على ذلك، وما هو إلّا إعادة الإنسان في يوم القيامة ببدنه وإرجاعه إلى حقيقته الأُولى بعد أن يصبح رميماً.

فالجاهل المستغرب من البعث والمعاد يقول:

﴿ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾[2].

وكأنّه نسي خلقه أوّل مرّة، كيف خلقت ذاته، ولقد كان عدماً، وأجزاء بدنه رميماً، فتألّفت من الأرض حتّى صار بشراً سويّاً، فنسي خلقه:

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾[3].

وما أروع وأجمل جواب خالق الكون، ومن أصدق منه قيلاً:

﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[4].

فيا أيّها الإنسان المغرور، لا بدّ أن تذعن لهذه الحقيقة التي أخبر عنها مدبّر

(١) الرعد: ٥.

(٢) يس: ٧٨.

(٣) يس: ٧٧ ـ ٧٨.

(٤) يس: ٧٩.

الكائنات، العالم القدير سبحانه وتعالى.

ويجب الإقرار بكلّ ما جاء به النبيّ ﷺ كالصراط والميزان وإنطاق الجوارح وتطاير الكتب والعفو والشفاعة وكيفية خروج الناس من الأجداث وأحوالهم في المحشر والثواب والعقاب والجنّة ونعيمها والنار وعذابها، لإمكان كلّ ذلك، وقد أخبر بها الصادق الأمين، فيجب الاعتراف والتصديق بها من دون ريب وشكّ.

هذا وينبغي للإنسان بعد الإيمان بالإسلام في أُصوله وفروعه، أن يتوب إلى الله ويرجع إليه ويخلص في عمله، وأن يتجنّب متابعة الهوى والنفس الأمّارة بالسوء وشياطين الجنّ والإنس، ويستعين بالله على ذلك، وأن يشتغل بما يصلح دينه ودنياه وآخرته، وفيما يرفع منزلته عند الله حتّى يكون عند مليكٍ مقتدر، وأن يتفكّر فيما يستعين به على نفسه الأمّارة بالسوء، وفيما يستقبله بعد الموت من هول المطلع والعقبات الصعبة، من زهوق الروح وشدائد القبر والحساب وسؤال منكر ونكير وأهوال عالم البرزخ والحضور بين يدي الملك القهّار يوم الحشر، فيتّقي يوماً لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئاً، ولا تقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل، ولا هم ينصرون، فيتّصف بأوصاف الأشراف وصفات المتّقين، فإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وإنّما يتقبّل الله من المتّقين.

ويمتاز الناس بعضهم على بعض في كتاب الله الكريم بأربع:

أوّلاً: بالإسلام دين الله الحنيف، لقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1].

(١) آل عمران: ٨٥.

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[١].

وثانياً : بالتقوى ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٢].

وثالثاً : بالعلم ، لقوله تعالى :

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٣].

ورابعاً : بالجهاد ، لقوله تعالى :

﴿ وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾[٤].

فبمثل هذه الخصائص يقرب العبد إلى ربّه ، فالتفضيل والتمايز وتقدّم الناس بعضهم على بعض ليس بالجمال الصوري ، ولا باللون الأبيض ، ولا بالقومية والحزبية ، ولا بالثروة والمال والصناعة والتكنولوجيا ، ولا بمنطق القوّة والبطش والظلم والجور وحكومة الغاب ، ولا بالذهب والنفط والدولار ، ولا بالخدعة وسياسة التزوير والاستثمار والاستحمار والاستعمار ، إنّما بمقاييس قرآنيّة إلهيّة .

جعلنا الله سبحانه وإيّاكم من خيرة عباده المسلمين المتّقين ، ومن العلماء المجاهدين .

(١) آل عمران : ١٩.

(٢) الحجرات : ١٣.

(٣) المجادلة : ١١.

(٤) النساء : ٩٥.

أُصول الدين في ميزان القرآن والعترة

القرآن الكريم وعترة الرسول الأكرم عليهم السلام :

نعتقد أنّ خير هادٍ إلى الله عزّ وجلّ خاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله ، وأنّ سعادة الإنسان في حياته ومماته في الإسلام ، ذلك الدين القيّم ، ومن يبتغِ غيره فلن يقبل منه ، ومصدر التشريع الإسلامي في جميع حقوله : القرآن والسنّة المتمثّلة بقول المعصومين عليهم السلام وفعلهم وتقريرهم ، وهما الثقلان اللذان خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً في مواطن عديدة :

«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله عزّ وجلّ ، وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض ، فانظروا بماذا تخلفوني»[١].

وعن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام ، قال :

«سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : (إنّي مخلّف فيكم

(١) بحار الأنوار ٣ : ١٠٤.

الثقلين: كتاب الله وعترتي) من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم، حتّى يردوا على رسول الله ﷺ حوضه».

فالنجاة في الأُولى والعقبى إنّما باتّباع القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، وعندئذٍ يكمل إيمان المرء ويدخل في زمرة المتّقين.

«وكلّ من الإيمان والتقوى مرتبطة بالأُخرى معتضدة بها، والإيمان أشرفهما وأعظمهما وأقدمهما رتبة، لكن لا عاقبة إلّا للتقوى، ولا هدى إلّا للمتّقين.

والإيمان عبارة عن الاعتقاد بالأركان الخمسة التي هي التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد.

والتقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ولها ظاهر، وهو: تقوى الجوارح بفعل الطاعات الظاهرة والكفّ عن المعاصي الواضحة الفاضحة، وباطن، وهو: تقوى القلوب بالتخلّي عن مساوئ الأخلاق والتحلّي بمكارمها.

فالإيمان علم واعتقاد، والتقوى عمل وسداد»[1].

وعلى هذا المعتقد نشير إلى بعض الآيات الكريمة والروايات الشريفة، إذ هي مشحونة بالأدلّة العقليّة، فنذكر نبذة منها بنحو الإيجاز والإشارة في

(١) من مقولة المحقّق الأجلّ المولى محسن الفيض الكاشاني في كتابه القيّم (منهاج النجاة في بيان العلم الواجب على كلّ مسلم ومسلمة)، عليكم بمطالعته.

أُصول الدين وفروعه، فما هي إلّا بحار أنوار زاهية، ونجوم سماء زاهرة، وبالله التوفيق.

التوحيد

التوحيد في القرآن الكريم:

لقد ذكر صاحب بحار الأنوار العلّامة المجلسي[1] جملة من الآيات الشريفة، منها:

قال الله تعالى:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2].

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[3].

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

(١) بحار الأنوار ٣: ١٦، الباب ٣ في إثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته.

(٢) البقرة: ٢٢.

(٣) البقرة: ١٦٤.

الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1].

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[2].

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[3].

﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾[4].

التوحيد في الأحاديث :

ـــ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

ـــ وسئل مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : بماذا عرفت

(١) إبراهيم : ٣٢ ـ ٣٤.

(٢) الأنبياء : ٣٠ ـ ٣٣.

(٣) فصّلت : ٥٣.

(٤) إبراهيم : ١٠.

ربّك ؟ ! قال عليه السلام :

«بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همّي، وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي، عرفت أنّ المدبّر غيري»[1].

ـــ وقيل لمولانا أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : ما الدليل على حدوث العالم ؟ قال عليه السلام :

«إنّك لم تكن ثمّ كنت، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ولا كوّنك من هو مثلك»[2].

ـــ وسئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله، فقال للسائل :

«هل ركبت سفينةً قط» ؟

قال : بلى. قال عليه السلام :

«هل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك» ؟

قال : بلى. قال عليه السلام :

«فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك» ؟

قال بلى. قال الصادق عليه السلام :

«فذلك الشيء هو الله تعالى القادر على الإغاثة حين لا مغيث»[3].

(١) التوحيد للشيخ الصدوق : ٢٠٩.

(٢) بحار الأنوار ٣ : ٣٦.

(٣) بحار الأنوار ٣ : ٤١.

ـــ وعن أمير المؤمنين عليه السلام :

«ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة والأبصار مدخولة، أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق ؟ كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوّى له العظم والبشر، أُنظروا إلى النملة ...»[1].

فيذكر عليه السلام عجائب خلق النملة في نهج البلاغة، فراجع.

ـــ دخل أبو شاكر الديصاني ـ وهو زنديق ـ على أبي عبد الله عليه السلام فقال له : يا جعفر بن محمّد، دلّني على معبودي ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : «إجلس» ـ فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها ـ فقال أبو عبد الله عليه السلام : «ناولني يا غلام البيضة»، فناوله إيّاها، فقال أبو عبد الله عليه السلام :

«يا ديصاني، هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها، لا يدرىٰ للذكر أم للأُنثى ؟ تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّراً» ؟

قال : فأطرق مليّاً ثمّ قال : أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك إمام وحجّة من الله على خلقه، وأنا تائب ممّا كنت

(١) بحار الأنوار ٣ : ٢٦.

فيه[1].

نعم دخل كافراً وخرج مؤمناً بالتوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد، وهكذا تفعل الحجج بأهلها.

ـــ سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع، فقال :

«البعرة تدلّ على البعير، والروثة تدلّ على الحمير، وآثار القدم تدلّ على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، كيف لا يدلّان على اللطيف الخبير ؟»[2].

وعليك أيّها القارئ الكريم بكتاب توحيد المفضّل، ورسالة الإهليلجة المرويّتين عن الإمام الصادق عليه السلام، لاشتمالهما على دلائل وبراهين على إثبات الصانع سبحانه وتعالى.

ـــ سأل الزنديق مولانا الصادق عليه السلام : ما الدليل على الله ؟

فقال عليه السلام : «وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعاً صنعها، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبني، علمت أنّ له بانياً، وإن كنت لم ترَ الباني ولم تشاهده».

قال : فما هو ؟

قال : «شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي إثبات معنى، وإنّه شيء بحقيقة الشيئية غير أنّه لا جسم ولا صورة، ولا يحسّ ولا يجسّ، ولا يدرك بالحواسّ

(١) بحار الأنوار ٣ : ٣١.

(٢) بحار الأنوار ٣ : ٥٥.

الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيّره الأزمان»[١].

ـــ وسئل عليّ بن الحسين عليه السلام عن التوحيد، فقال:

«إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى: قل هو الله أحد، والآيات من سورة الحديد إلى قوله: (وهو عليمٌ بذات الصدور)، فمن رام وراء ذلك فقد هلك»[٢].

ـــ وقال أبو جعفر عليه السلام:

«تكلّموا في خلق الله ولا تتكلّموا في الله، فإنّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلّا تحيّراً»[٣].

وسئل بعض أهل المعرفة والتوحيد عن الدليل على إثبات الصانع، فقال: أغنى الصباح عن المصباح.

واعلموا أيّدكم الله في الدارين، أنّ عقول الناس مختلفة، ومستوى فهمهم متفاوت في قبول مراتب العرفان وتحصيل الاطمئنان كمّاً وكيفاً، وشدّةً وضعفاً، سرعة وبطئاً، وحالاً وعلماً، وكشفاً وعياناً، وإن كان أصل المعرفة فطرياً، وكما مرّ فلكلّ واحد منّا طريقه إلى المعرفة، وقيل: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، ولهم درجات عند الله:

و ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٤].

---

(١) الكافي ١: ١٨.

(٢) الكافي ١: ٩١.

(٣) الكافي ١: ٩٢.

(٤) المجادلة: ١١.

هذا، وأسأل الله أن يهدينا إلى كمال معرفته والإيمان به وبرسله وكتبه وأوصيائه واليوم الآخر، ويغفر لنا ذنوبنا، ما تقدّم منها وما تأخّر، ويبدل سيّئاتنا حسنات، وحسناتنا درجات، آمين ربّ العالمين.

الصفات الربوبية في القرآن الكريم:

وأمّا صفاته تعالى فقد جاء في وحدانيّته في كتابه الكريم:

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾[١].

وقال تعالى:

﴿ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[٢].

وقال سبحانه:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلَى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً ﴾[٣].

﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[٤].

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥].

---

(١) البقرة: ١٦٣.

(٢) النحل: ٥١.

(٣) الإسراء: ٤٢.

(٤) آل عمران: ١٨.

(٥) يونس: ١٨.

﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[١]

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٢].

﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٣].

﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٤].

وجاء في باقي الصفات الذاتية والأفعال قوله تعالى :

﴿ سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[٥].

﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[٦].

﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[٧].

---

(١) سبأ : ٢٧.

(٢) الأنبياء : ٢٢.

(٣) المؤمنون : ٩١.

(٤) النمل : ٦٤.

(٥) الحديد : ١.

(٦) الحديد : ٢٣ ـ ٢٤.

(٧) السجدة : ٦.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ ﴾[١].

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ ﴾[٣].

﴿ إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[٤].

﴿ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[٥].

﴿ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً ﴾[٦].

﴿ وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٧].

﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾[٨].

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝٦ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ﴾[٩].

---

(١) سبأ : ٢.

(٢) النساء : ١٢٢.

(٣) فاطر : ١٥.

(٤) الأحزاب : ٥٤.

(٥) البقرة : ٧٧.

(٦) النساء : ٧٠.

(٧) آل عمران : ١٨٩.

(٨) الأنعام : ١٠٣.

(٩) طه : ٦ ـ ٨.

﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾[2].

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى ۝٤٢ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۝٤٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[3].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ ﴾[4].

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[5].

الصفات الربوبية في الأحاديث الشريفة :

ـــ جاء في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال :

«واعلم يا بني أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضادّه في

(١) النور : ٤٥.

(٢) الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨.

(٣) النجم : ٤٢ ـ ٤٤.

(٤) البقرة : ١٦٥.

(٥) النور : ٣١.

ملكه أحد، ولا يزول أبداً»[1].

ـــ وسئل مولانا الصادق عليه السلام : ما الدليل على أنّ الله تبارك وتعالى واحد ؟

قال : «اتّصال التدبير وتمام الصنع، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾»[2].

ـــ قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام : لِمَ احتجب الله ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : «إنّ الحجاب عن الخلق لكثرة ذنبهم، فأمّا هو فلا يخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار».

قال : فلِمَ لا تدركه حاسّة البصر ؟

قال : «للفرق بينه وبين خلقه الذي تدركهم حاسّة الأبصار، ثمّ هو أجلّ من أن تدركه الأبصار أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل».

قال : فحدّه لي.

قال : «إنّه لا يحدّ».

قال : لِمَ ؟

قال : «لأنّ كلّ محدود متناهٍ إلى حد، فإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود ولا متجزٍّ ولا متوهّم»[3].

(١) نهج البلاغة : ٣٩٦، ومنهاج النجاة : ١٩.

(٢) بحار الأنوار ٣ : ١٥.

(٣) بحار الأنوار ٣ : ١٥.

ـ سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام، فقال: أخبرني عن الله متى كان؟

فقال: «متى لم يكن حتّى أُخبرك متى كان، سبحان من لم يزل ولا يزال، فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً»[١].

ـ دخل رجل من الخوارج على أبي جعفر عليه السلام قائلاً: يا أبا جعفر، أيّ شيء تعبد؟

قال: «الله».

قال: رأيته؟

قال: «بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواسّ، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلّا هو».

قال: فخرج الرجل وهو يقول: (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[٢].

ـ كتب إلى أبي عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط، رأيت ـ جعلني الله فداك ـ أن تكتب إليَّ بالمذهب الصحيح من التوحيد.

فكتب إليه: «سألت ـ رحِمَك الله ـ عن التوحيد وما ذهب إليه مَن قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالى عمّا يصفه الواصفون المشبّهون الله بخلقه، المفترون على الله، فاعلم ـ رحِمَك الله ـ إنّ المذهب الصحيح

(١) الكافي ١: ٨٨.

(٢) الكافي ١: ٩٧.

في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جلّ وعزّ، فانفِ عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، ولا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان»[١].

ـ عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال:

«لو اجتمع أهل السماء والأرض على أن يصفوا الله بعظمته لم يقدروا»[٢].

ـ يقول أبو عبد الله عليه السلام: «لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور».

قال أبو بصير: قلت: فلم يزل الله متحرّكاً؟

قال: فقال: «تعالى الله ـ عن ذلك ـ إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل».

قال: قلت: فلم يزل الله متكلّماً؟

قال: فقال: «إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم»[٣].

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: لم يزل الله مريداً؟ قال: «إنّ المريد لا يكون إلّا لمراد معه، لم يزل الله عالماً قادراً ثمّ أراد».

(١) الكافي ١: ١٠٠.

(٢) الكافي ١: ١٠٢.

(٣) الكافي ١: ١٠٧.

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام :

«خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة»[1].

ـ في الخطبة الأُولى من نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن اشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه...».

وإليك جوامع التوحيد من الكتاب القيّم (الكافي) العظيم مع مقولة الكريم ـ شيخنا في الرواية ـ ثقة الإسلام المرحوم الكليني قدس سره :

باب جوامع التوحيد

عن محمّد بن أبي عبد الله، ومحمّد بن يحيى، جميعاً رفعاه إلى أبي عبد الله

(١) الكافي ١ : ١١٠.

عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معاوية في المرّة الثانية، فلمّا حشد الناس قام خطيباً، فقال :

«الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرّد، الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان، قدرة بان بها الأشياء وبانت الأشياء منه، فليست له صفة تنال، ولا حدّ تضرب له فيه الأمثال، كلّ دون صفاته تحبير اللغات، وضلّ هناك تصاريف الصفات، وحاد في ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير، وحال دون غيبة المكنون حجب من الغيوب، تاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول في لطيفات الأُمور.

فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، وتعالى الذي ليس له وقت معدود، ولا أجل ممدود، ولا نعت محدود، سبحان الذي ليس له أوّل مبتدأ، ولا غاية منتهى، ولا آخر يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، وحدّ الأشياء كلّها عند خلقه، إبانة لها من شبهه وإبانة له من شبهها، لم يحلل فيها فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن، ولم يخلُ منها فيقال له: أين، لكنّه سبحانه أحاط بها علمه وأتقنها صنعه وأحصاها حفظه، لم يعرف عنه خفيّات غيوب الهواء، ولا غوامض مكنون ظلم الدجى، ولا ما في السماوات العلى إلى الأرضين السفلين، لكلّ شيء منها حافظ ورقيب، وكلّ شيء منها بشيء محيط، والمحيط بما أحاط منها.

الواحد الأحد الصمد الذي لا يغيّره صروف الأزمان، ولا يتكأّده صنع شيءٍ كان، إنّما قال لما شاء: كن، فكان، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب، وكلّ صانع شيء فمن شيء صنع، والله لا من شيء صنع ما خلق، وكلّ

عالم فمن بعد جهل تعلّم، والله لم يجهل ولم يتعلّم، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها، فلم يزدد بكونها علماً، علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها، لم يكوّنها لتشديد سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان ولا استعانة على ضدّ مناو، ولا ندّ مكاثر، ولا شريك مكابر، لكن خلائق مربوبون وعبادٌ داخرون.

فسبحان الذي لا يؤوده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما برأ، ولا من عجز ولا فترة بما خلق اكتفى، علم ما خلق وخلق ما علم، لا بالتفكير في علم حادث أصاب ما خلق، ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلق، لكن قضاء مبرم وعلم محكم وأمر متقن، توحّد بالربوبيّة وخصّ نفسه بالوحدانية واستخلص بالمجد والثناء، وتفرّد بالتوحيد والمجد والسناء، وتوحّد بالتحميد، وتمجّد بالتمجيد، وعلا عن اتّخاذ الأبناء، وتطهّر وتقدّس عن ملامسة النساء، وعزّ وجلّ عن مجاورة الشركاء.

فليس له فيما خلق ضدّ، ولا له فيما ملك ندّ، ولم يشركه في ملكه أحد، الواحد الأحد الصمد المبيد للأبد والوارث للأمد، الذي لم يزل ولا يزال وحدانياً أزلياً، قبل بدء الدهور وبعد صروف الأُمور، الذي لا يبيد ولا ينفد، بذلك أصف ربّي فلا إله إلّا الله، من عظيم ما أعظمه ؟! ومن جليل ما أجلّه ؟! ومن عزيز ما أعزّه ؟! وتعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً».

وهذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام، حتّى لقد ابتذلها العامّة، وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبّرها وفهم ما فيها، فلو اجتمع ألسنة الجنّ والإنس، ليس فيها لسان نبيّ، على أن يبيّنوا التوحيد بمثل ما أتى به ـ بأبي وأُمّي ـ ما قدروا عليه، ولولا إبانته عليه السلام ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد، ألا ترون إلى

قوله: «لا من شيءٍ كان، ولا من شيء خلق ما كان»، فنفى بقوله: «لا من شيء كان» معنى الحدوث وكيف أوقع على ما أحدثه صفة الخلق والاختراع بلا أصل ولا مثال، نفياً لقول من قال: إنّ الأشياء كلّها محدثة بعضها من بعض، وإبطالاً لقول الثنوية الذين زعموا أنّه لا يحدث شيئاً إلّا من أصل، ولا يدبّر إلّا باحتذاء مثال، فدفع عليه السلام بقوله: «لا من شيء خلق ما كان» جميع حجج الثنوية وشبههم، لأنّ أكثر ما يعتمد الثنوية في حدوث العالم أن يقولوا: لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء أو من لا شيء، فقولهم من شيء خطأ، وقولهم: من لا شيء، مناقضة وإحالة، لأنّ «من» توجب شيئاً و «لا شيء» تنفيه، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحّها، فقال: «لا من شيء خلق ما كان»، فنفى «من» إذ كانت توجب شيئاً ونفى الشيء إذ كان كلّ شيء مخلوقاً محدثاً لا من أصل أحدثه الخالق، كما قالت الثنوية: إنّه خلق من أصل قديم، فلا يكون تدبير إلّا باحتذاء مثال.

ثمّ قوله عليه السلام: «ليست له صفة تنال، ولا حدّ تضرب له فيه الأمثال، كلّ دون صفاته تحبير اللغات»، فنفى عليه السلام أقاويل المشبّهة حين شبّهوه بالسبيكة والبلّورة وغير ذلك من أقاويلهم من الطول والاستواء، وقولهم: «متى ما لم تعقد القلوب منه على كيفية ولم ترجع إلى إثبات هيئة لم تعقل شيئاً فلم تثبت صانعاً»، ففسّر أمير المؤمنين عليه السلام أنّه واحد بلا كيفية، وأنّ القلوب تعرفه بلا تصوير ولا إحاطة.

ثمّ قوله عليه السلام: «الذي لا يبلغه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، وتعالى الذي ليس له وقت معدود ولا أجل ممدود ولا نعت محدود»، ثمّ قوله عليه السلام: «لم

يحلل ـ في الأشياء ـ فيقال : هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن»، فنفى عليه السلام بهاتين الكلمتين صفة الأعراض والأجسام، لأنّ من صفة الأجسام التباعد والمباينة، ومن صفة الأعراض الكون في الأجسام بالحلول على غير مماسّة، ومباينة الأجسام على تراخي المسافة.

ثمّ قال عليه السلام : «لكن أحاط بها علمه وأتقنها صنعه»، أي هو في الأشياء بالإحاطة والتدبير وعلى غير ملامسة[١].

العدل

العدل الإلهي في القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٢].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[٣].

﴿ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٤].

﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ

(١) أُصول الكافي ١ : ١٣٤.

(٢) يونس : ٤٤.

(٣) يونس : ١٠٨.

(٤) الرعد : ١١.

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[١].

﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٢].

﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[٣].

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾[٤].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾[٥].

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٦].

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[٧].

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[٨].

(١) الإسراء : ١٥.

(٢) الكهف : ٢٩.

(٣) المؤمنون : ٦٢.

(٤) الشورى : ٢٠.

(٥) فصّلت : ٤٦.

(٦) الجاثية : ٢١.

(٧) الأحقاف : ١٩.

(٨) الشمس : ٧ ـ ١٠.

﴿ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾[١].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[٢].

﴿ الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴾[٣].

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ ﴾[٤].

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾[٥].

فإذا كان الله سبحانه يأمر بالعدل ويحبّ المقسطين، كيف لا يكون عادلاً سبحانه وتعالى ؟

العدل الإلهي في الأحاديث الشريفة :

ـــ عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال : سألته فقلت : الله فوّض الأمر إلى العباد ؟

قال : «الله أعزّ من ذلك».

قلت : فجبرهم على المعاصي ؟

قال : «الله أعدل وأحكم من ذلك».

(١) النجم : ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) فصّلت : ٤٦.

(٣) الملك : ٢.

(٤) الأعراف : ٢٩.

(٥) الممتحنة : ٨.

قال : ثمّ قال : قال الله : «يا بن آدم، أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي، عملت المعاصي بقوّتي التي جعلتها فيك»[١].

ـــ وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال :

«الله أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد»[٢].

ـــ وعنه عليه السلام، قال :

«لا جبر ولا تفويض، ولكن أمرٌ بين أمرين».

قال : قلت : وما أمرٌ بين أمرين ؟

قال مثل ذلك : «رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينتهِ، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية»[٣].

ـــ وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قالا :

«إنّ الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثمّ يعذّبهم عليها، والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون».

قال : فسئلا عليهما السلام : هل بين الجبر والتفويض والقدر منزلة ثالثة ؟

قالا : «نعم، أوسع ممّا بين السماء والأرض»[٤].

(١) الكافي ١ : ١٥٧.

(٢) الكافي ١ : ١٦٠.

(٣) الكافي ١ : ١٦٠.

(٤) الكافي ١ : ١٥٩.

ـــوسئل أمير المؤمنين مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن التوحيد والعدل، فقال:

«التوحيد ألّا تتوهّمه، والعدل ألّا تتّهمه»[١].

وجاء في كتاب (الوفاء بأحوال المصطفى)[٢]، قال البخاري:

فلمّا كان يوم حنين آثر النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الأبل، وأعطى عُيينة مثل ذلك، وأعطى أُناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذٍ في القسمة، فقال رجل: والله إنّ هذه القسمة ما عدل فيها وما أُريد بها وجه الله. فقلت: والله لأُخبرنّ النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم. فأتيته، فأخبرته، فقال:

«من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر».

النبوّة

النبوّة العامّة في القرآن الكريم:

قال الله تعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ

(١) ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢٧.

(٢) الوفاء ٢: ٤٢١.

عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١].

﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٢].

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[٣].

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٤].

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ ﴾[٥].

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[٦].

﴿ تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ اليَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٧].

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ

(١) الأنعام: ٤٨.

(٢) آل عمران: ١٧٩.

(٣) المائدة: ٣٢.

(٤) الأعراف: ١٣٥.

(٥) الحديد: ٢٥.

(٦) النحل: ١١٣.

(٧) النحل: ٦٣.

دَرَجَاتٍ ﴾[١].

﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾[٢].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾[٤].

﴿ لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴾[٥].

النبوّة الخاصّة في القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[٦].

---

(١) البقرة : ٢٥٣.

(٢) النساء : ١٦٤.

(٣) النحل : ٤٣.

(٤) النساء : ١٦٣.

(٥) النساء : ١٦٦.

(٦) آل عمران : ١٤٤.

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾[١].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٢].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٣].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[٤].

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[٥].

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[٦].

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[٧].

---

(١) المائدة : ٦٧.

(٢) الأعراف : ١٥٨.

(٣) الأنبياء : ١٠٧.

(٤) سبأ : ٢٨.

(٥) الأحزاب : ٤٠.

(٦) الانشراح : ١ ـ ٤.

(٧) الصفّ : ٦.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾[١].

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾[٢].

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾[٣].

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا البَلاغُ ﴾[٤].

﴿ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝٥٢ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[٥].

﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾[٦].

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[٧].

---

(١) الرعد : ٤٣.

(٢) الشورى : ٧.

(٣) الأنعام : ٩٠.

(٤) الشورى : ٤٨.

(٥) الروم : ٥٢ ـ ٥٣.

(٦) المائدة : ٤٩.

(٧) الجمعة : ٢.

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾[١].

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ المُبِينُ ﴾[٢].

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ۝٢٨ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٣].

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[٤].

﴿ يَا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[٥].

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ المُبْطِلُونَ ﴾[٦].

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ۝١٣ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[٧].

---

(١) الأحزاب : ٦.

(٢) النحل : ٨٢.

(٣) الفتح : ٢٨ ـ ٢٩.

(٤) الإسراء : ١.

(٥) المزّمّل : ١ ـ ٥.

(٦) المؤمن : ٧٨.

(٧) النساء : ١٣ ـ ١٤.

﴿ ٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[1].

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[2].

اللهمّ صلّ على محمّد سيّد المرسلين وخاتم النبيّين وحجّة ربّ العالمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

النبوّة العامّة والخاصّة في الأحاديث الشريفة :

ــ قال هشام بن الحكم : سأل الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام فقال : من أين أثبت أنبياءً ورسلاً ؟

قال أبو عبد الله عليه السلام :

«إنّما لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه ولا يباشرهم ولا يباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، فثبت أنّ له سفراء في خلقه يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه وثبت عند ذلك أنّه له معبّرين وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس في أحوالهم

(١) النحل : ١٢٥.

(٢) الأحزاب : ٥٦.

على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيّدين من عند الحكيم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فلا تخلو أرض الله من حجّة، يكون معه علم يدلّ على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته»[1].

ــ وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال :

«إنّما سمّي أُولو العزم لأنّهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أنّ كلّ نبيّ كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكلّ نبيّ كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى، وكلّ نبيّ كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيام عيسى، وكلّ نبيّ كان أيام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعاً لكتابه إلى زمن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

فهؤلاء الخمسة أُولوا العزم وهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام، وشريعة محمّد لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، فمن ادّعى بعده نبوّة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه»[2].

ــ وعن الحسين بن نعيم الصحّاف : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أيكون الرجل مؤمناً قد ثبت له الإيمان ثمّ ينقله الله بعد الإيمان إلى الكفر ؟

(١) بحار الأنوار ١١ : ٢٩.

(٢) بحار الأنوار ١١ : ٣٤.

قال : «إنّ الله هو العدل، وإنّما بعث الرسل ليدعوا الناس إلى الإيمان بالله، ولا يدعو أحداً إلى الكفر».

قلت : فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله فينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان ؟

قال : «الله عزّ وجلّ خلق الناس على الفطرة التي فطرهم الله عليها لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود، ثمّ ابتعث الله الرسل إليهم يدعونهم إلى الإيمان بالله حجّة لله عليهم، فمنهم من هداه الله ومنهم من له يهده»[١].

ـ وعن الرضا عليه السلام، جواباً لأحدهم :

«فإن قال : فلِمَ وجب عليهم معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة ؟ قيل : لأنّه لمّا لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملوا لمصالحهم، وكان الصانع متعالياً عن أن يرى وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً، لم يكن بدّ من رسول بينه وبينهم، معصوم، يؤدّي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارّهم، إذا لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه منافعهم ومضارّهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سدّ حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كلّ شيء»[٢].

ـ وعن أبي بصير، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : لأيّ علّة أعطى الله

(١) بحار الأنوار ١١ : ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، عن علل الشرائع وعيون الأخبار.

عزّ وجلّ أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة ؟

فقال : ليكون دليلاً على صدق ما أتى به، والمعجزة علامة لا يعطيها إلّا أنبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب[١].

ـ وقال عليّ بن محمّد بن الجهم لمولانا الرضا عليه السلام : يا بن رسول الله، أتقول بعصمة الأنبياء ؟ قال : بلى[٢].

ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن خطبة له :

«فبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه وأحكمه ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه، وليقرّوا به إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلّى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته ...»[٣].

ـ وقال عليه السلام :

«ثمّ إنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ حين دنا من الدنيا الانقطاع، وأقبل من الآخرة الاطلاع، وأظلمت بهجتها بعد إشراق، وقامت بأهلها على ساق، وخشن منها مهاد ... ـ إلى أن يقول : ـ ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى

(١) بحار الأنوار ١١ : ٧١.

(٢) المصدر نفسه : ٧٣.

(٣) نهج البلاغة : ٣١٧.

أسقامه، وعزّاً لا تهزم أنصاره، وحقّاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنيانه...»[١].

الإمامة

الإمامة العامّة والخاصّة في القرآن الكريم:

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾[٣].

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٤].

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[٥].

---

(١) المصدر السابق: ٤٥٥.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) النساء: ٨٣.

(٥) الأعراف: ١٨١.

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[١].

﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٣].

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[٤].

﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾[٥].

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[٦].

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ ﴾[٧].

---

(١) الرعد: ٧.

(٢) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) البقرة: ١٤٣.

(٥) الرعد: ٤٣.

(٦) المائدة: ٥٥.

(٧) آل عمران: ٦١.

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[١].

﴿ اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾[٣].

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ﴾[٤].

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِينَ ﴾[٥].

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦].

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ

(١) يونس : ٣٥.
(٢) المائدة : ٣.
(٣) المائدة : ٦٧.
(٤) الصافّات : ٢٤.
(٥) الأعراف : ٦.
(٦) التوبة : ٦١.

الحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[١].

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٢].

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[٣].

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٤].

هذا ومئات الآيات الشريفة تدلّ على ضرورة الإمامة والخلافة وبيان صفات الأئمة الهداة والخلفاء المعصومين بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فعليكم بمراجعة التفاسير وكتب الحديث والكلام من الفريقين.

الإمامة العامّة والخاصّة في الأحاديث الشريفة :

ـ عن العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، قال :

«إنّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلّا بإمام يعرف»[٥].

(١) البقرة : ٣٠ ـ ٣٣.
(٢) الأحزاب : ٣٣.
(٣) الشورى : ٢٣.
(٤) التوبة : ١٠٥.
(٥) الكافي ١ : ٧٧. وكذلك الروايات المذكورة الأُخرى، كما وردت في بحار الأنوار للعلّامة المجلسي.

ـ وعن إسحاق بن عمّار، قال: سمعته ـ أي الإمام الصادق عليه السلام ـ يقول:

«إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم».

ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«إنّ الله أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمامٍ عادل».

ـ وعن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«والله ما ترك أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلّا وفيها إمام يهتدى به إلى الله، وهو حجّته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّة لله على عباده».

ـ وعن أبي حمزة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف فإنّما يعبده هكذا ضلالاً».

قلت: جعلت فداك، فما معرفة الله؟

قال: «تصديق الله عزّ وجلّ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله، وموالاة عليّ عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عزّ وجلّ من عدوّهم، هكذا يعرف الله عزّ وجلّ».

ـ وروى الفريقان عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية».

ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجّته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا».

ـ يقول أبو عبد الله عليه السلام:

«نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله».

ـ وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام:

«الأئمة خلفاء الله عزّ وجلّ في أرضه».

ـ قال أبو عبد الله عليه السلام:

«الأوصياء هم أبواب الله عزّ وجلّ التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله عزّ وجلّ، وبهم احتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه».

ـ وقال داود الجصّاص: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1]، قال: النجم رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات هم الأئمة عليهم السلام».

ـ وعن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«لمّا نزلت هذه الآية ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[2]، قال المسلمون: يا رسول الله، ألست إمام الناس كلّهم أجمعين؟ قال: فقال رسول الله: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذّبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو منّي ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم فليس منّي ولا معي وأنا منه بريء».

---

(١) النحل: ١٦.

(٢) الإسراء: ٧١.

ـــ وقال يعقوب بن شعيب: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ ﴾[1]؟ قال: هم الأئمة.

ـــ وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّا أهل البيت شجرة النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم».

ـــ وعن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«يا معشر الشيعة، خاصموا بسورة إنّا أنزلناه تفلجوا، فوالله إنّها لحجّة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّها سيّدة دينكم، وإنّها لغاية علمنا».

ـــ وعن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[2]؟

فقال: «نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام».

فقلت له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمِّ علياً وأهل بيته في كتاب الله عزّ وجلّ؟

قال: فقال: «قولوا لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه (الصلاة) ولم يسمِّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتّى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم».

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) النساء: ٥٩.

ـــ وعن أبي عبد الله عليه السلام:

«من ادّعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر».

ـــ عن أبي الحسن عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ ﴾[1]، قال:

«يعني من اتّخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمة الهدى».

ـــ وعن أبي يعفور، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية»؟ قال: قلت: ميتة كفر؟

فقال: «ميتة ضلال».

قلت: فمن مات اليوم وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟

قال: «نعم».

ـــ قال جعفر بن محمّد عليه السلام ـ وعنده أُناس من أهل الكوفة ـ:

«عجباً للناس إنّهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فعملوا به واهتدوا، ويرون أنّ أهل بيته لم يأخذوا علمه، ونحن أهل بيته وذرّيته، في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم، أفيرون أنّهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا، إنّ هذا لمحال».

ـــ وقال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة:

«شرّقا وغرّباً فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت».

(١) القصص: ٥٠.

وقد أحسن الشاعر حين قال في مدح أئمة الحقّ أهل بيت رسول الله عليهم السلام :

من جاء بالقول البليغ فآخذ عنهم وإلّا فهو منهم سارقُ
ساووا كتاب الله إلّا أنّه هو صامتٌ وهو الكتاب الناطقُ

ـ وعن زرارة، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول :

«نحن اثنا عشر إماماً، منهم الحسن والحسين، ثمّ الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام».

ـ وعن أبي جعفر الثاني عليه السلام، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس : «إنّ ليلة القدر في كلّ سنة، وإنّه ينزل في الليلة أمر السنة، ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله».

فقال ابن عباس : من هم ؟

قال : «أنا وأحد عشر من صلبي، أئمة محدثون».

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه :

«آمنوا بليلة القدر، إنّها تكون لعليّ بن أبي طالب ولولده الأحد عشر من بعدي».

هذه نبذة يسيرة من مئات بل آلاف الأحاديث الشريفة في معرفة الأئمة عليهم السلام، وحقيقة الإمام ومن هو بعد الرسول المختار ؟ وكيف يجب أن تعرف إمام زمانك ؟ وقد صنّف وألّف الفريقان ـ السنّة والشيعة ـ في ذلك آلاف الكتب القيّمة، فلا يعذر المسلم حينئذٍ، ولله الحجّة البالغة، وكفى بالله حسيباً.

وإليك ختاماً هذه الروايات الشريفة من الكتاب القيّم (الكافي)[1] :

قال أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني مصنّف هذا الكتاب رحمه الله :

حدّثنا :

١ ـ محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّ الله أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون بالله.

قال : «صدقت».

قلت : إنّ من عرف أنّ له ربّاً، فينبغي له أن يعرف لذلك الربّ رضىً وسخطاً، وأنّه لا يعرف رضاه وسخطه إلّا بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل، فإذا لقيهم عرف أنّهم الحجّة، وأنّ لهم الطاعة المفترضة. وقلت للناس : تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجّة من خلقه. قالوا : بلى. قلت : فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجّة على خلقه ؟ فقالوا : القرآن. فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدري لا يؤمن به حتّى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقّاً. فقلت لهم : من قيّم القرآن ؟ فقالوا : ابن مسعود، قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم. قلت : كلّه ؟ قالوا : لا. فلم أجد أحداً قال : إنّه يعرف ذلك كلّه إلّا عليّاً عليه السلام، وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا : لا أدري، وقال هذا : لا أدري، وقال هذا : أنا أدري، فأشهد أنّ علياً عليه السلام كان قيّم القرآن وكانت طاعته مفترضة،

(١) الكافي ١ : ١٦٨.

وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله ﷺ، وأنّ ما قال في القرآن فهو حقّ.

فقال: «رحمك الله».

٢ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب، قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، منهم: حمران بن أعين، ومحمّد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيّار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا هشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟»

فقال هشام: يا ابن رسول الله، إنّي أُجلّك وأستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك.

فقال أبو عبد الله: «إذا أمرتكم بشيء فافعلوا».

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متّزر بها من صوف، وشملة مرتديها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي. ثمّ قلت: أيّها العالم، إنّي رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بني، أي شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هذا مسألتي. فقال: يا بني، سل وإن كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها؟ قال: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص. قلت: فلك أنف؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أشمّ به الرائحة. قلت: ألك فم؟ قال: نعم. قلت:

فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم. قلت: فلك أُذن؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت. قلت: ألك قلب؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أُميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح والحواسّ. قلت: أوَ ليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟ قال: لا. قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بني، إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب، فيستيقن اليقين ويبطل الشكّ. قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم. قلت: لا بدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم. فقلت له: يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويتيقّن به ما شكّ فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتك وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟ قال: فسكت، ولم يقل لي شيئاً، ثمّ التفت إليَّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا ـ فرضاً ـ. قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا. قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة. قال: فأنت إذاً هو. ثمّ ضمّني إليه، وأقعدني في مجلسه وما نطق حتّى قمت.

قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: «يا هشام، من علّمك هذا»؟

قلت: شيء أخذته منك وألفته.

فقال: «هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى».

٣ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عمّن ذكره، عن يونس بن يعقوب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام، فقال: إنّي رجل صاحب كلام وفقه وفرائض، وقد جئت لمناظرة أصحابك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك» ؟

فقال : من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عندي.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «فأنت إذاً شريك رسول الله» ؟

قال : لا.

قال : «فسمعت الوحي عن الله عزّ وجلّ يخبرك» ؟

قال : لا.

قال : «فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله» ؟

قال : لا.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليَّ فقال : «يا يونس بن يعقوب، هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلّم»، ثمّ قال : «يا يونس، لو كنت تحسن الكلام كلّمته».

قال يونس : فيا لها من حسرة. فقلت : جعلت فداك، إنّي سمعتك تنهى عن الكلام وتقول : ويل لأصحاب الكلام يقولون : هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «إنّما قلت : فويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون».

ثمّ قال لي : «اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلّمين فأدخله».

قال : فأدخلت حمران بن أعين، وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلّم الكلام من عليّ بن الحسين عليه السلام.

فلمّا استقرّ بنا المجلس ـ وكان أبو عبد الله عليه السلام قبل الحجّ يستقرّ أياماً في

جبل في طرف الحرم في فازة له مضروبة ـ قال : فأخرج أبو عبد الله عليه السلام رأسه من فازته فإذا هو ببعير يخبّ فقال : «هشام وربّ الكعبة».

قال : فظننا أنّ هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبّة له. قال : فورد هشام بن الحكم، وهو أوّل ما اختطّت لحيته، وليس فينا إلّا من هو أكبر سنّاً منه.

قال : فوسع أبو عبد الله عليه السلام وقال : «ناصرنا بقلبه ولسانه ويده».

ثمّ قال : «يا حمران كلّم الرجل».

فكلّمه فظهر عليه حمران.

ثمّ قال : «يا طاقي، كلّمه».

فكلّمه فظهر عليه الأحول.

ثمّ قال : «يا هشام بن سالم، كلّمه».

فتعارفا.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام لقيس الماصر : «كلّمه».

فكلّمه، فأقبل أبو عبد الله عليه السلام يضحك من كلامهما ممّا قد أصاب الشامي.

فقال للشامي : «كلّم هذا الغلام» ـ يعني هشام بن الحكم ـ.

فقال : نعم.

فقال لهشام : يا غلام سلني في إمامة هذا.

فغضب هشام حتّى ارتعد، ثمّ قال للشامي : يا هذا، أربّك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم ؟

فقال الشامي : بل ربّي أنظر لخلقه.

قال : ففعل بنظره لهم ماذا ؟

قال : أقام لهم حجّة ودليلاً كيلا يتشتّتوا أو يختلفوا، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربّه.

قال : فمن هو ؟

قال : رسول الله عليه السلام.

قال هشام : فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة في رفع الاختلاف عنّا ؟

قال الشامي : نعم.

قال : فلِمَ اختلفنا أنا وأنت، وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إيّاك ؟

قال : فسكت الشامي. فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي : «ما لك لا تتكلّم» ؟

قال الشامي : إن قلت : لم نختلف كذبت، وإن قلت : إنّ الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الاختلاف أبطلت، لأنّهما يحتملان الوجوه، وإن قلت : قد اختلفنا وكلّ واحد يدّعي الحقّ فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنّة، إلّا أنّ لي عليه هذه الحجّة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «سله تجده مليّاً».

فقال الشامي : يا هذا، من أنظر للخلق أربّهم أو أنفسهم ؟

فقال هشام : ربّهم أنظر لهم منهم لأنفسهم.

فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقّهم من باطلهم ؟

قال هشام : في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله أو الساعة ؟

قال الشامي : في وقت رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله، والساعة من ؟

فقال هشام : هذا القاعد الذي تشدّ إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء [والأرض] وراثة عن أبٍ عن جدّ.

قال الشامي : فكيف لي أن أعلم ذلك ؟

قال هشام : سله عمّا بدا لك.

قال الشامي : قطعت عذري، فعليَّ السؤال.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «يا شامي، أُخبرك كيف كان سفرك ؟ وكيف كان طريقك ؟ كان كذا وكذا».

فأقبل الشامي يقول : صدقت، أسلمت لله الساعة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «بل آمنت بالله الساعة، إنّ الإسلام قبل الإيمان، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون».

فقال الشامي : صدقت، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّك وصيّ الأوصياء.

ثمّ التفت أبو عبد الله عليه السلام إلى حمران، فقال : «تجري الكلام على الأثر فتصيب».

والتفت إلى هشام بن سالم، فقال : «تريد الأثر ولا تعرفه».

ثمّ التفت إلى الأحول، فقال : «قياس رواغ، تكسر باطلاً بباطل، إلّا أنّ باطلك أظهر».

ثمّ التفت إلى قيس الماصر، فقال : «تتكلّم وأقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبعد ما تكون منه، تمزج الحقّ مع الباطل، وقليل الحقّ يكفي عن كثير الباطل، أنت والأحول قفّازان حاذقان».

قال يونس : فظننت والله أنّه يقول لهشام قريباً ممّا قال لهما.

ثمّ قال : «يا هشام لا تكاد تقع، تلوي رجليك إذا هممت بالأرض طرت،

مثلك فليكلّم الناس، فاتّق الزلّة، والشفاعة من ورائها إن شاء الله»[١].

المعاد

المعاد في القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾[٢].

﴿ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً ﴾[٣].

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤].

﴿ وَالمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[٥].

(١) راجع شروح الكافي في هذه الروايات الشريفة لتقف على جواهر الكلام.

(٢) آل عمران : ١٨٥.

(٣) النساء : ٨٧.

(٤) البقرة : ٢٥٩.

(٥) الأنعام : ٣٦.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلْ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً ﴾[٢].

﴿ وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً ﴿٦٦﴾ أَوَ لا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ﴾[٣].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾[٤].

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[٥].

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ٱئْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

(١) النحل : ٣٨.

(٢) الإسراء : ٤٩ ـ ٥١.

(٣) مريم : ٦٦ ـ ٦٨.

(٤) الحجّ : ٥.

(٥) الزخرف : ١١.

يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ ۝١ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[٢].

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۝٥٨ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾[٣].

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَ أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾[٤].

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[٥].

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ ﴾[٦].

---

(١) الجاثية : ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) القيامة : ١ ـ ٤.

(٣) الواقعة : ٥٧ ـ ٦٢.

(٤) آل عمران : ٩ ـ ١٠.

(٥) آل عمران : ٢٥.

(٦) آل عمران : ٣٠.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[١].

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ۝٤٢ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[٢].

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[٣].

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٣٨ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝٣٩ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[٤]

﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[٥].

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[٦].

---

(١) يونس : ٤٥.

(٢) إبراهيم : ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) الأنبياء : ١ ـ ٢.

(٤) الأنبياء : ٣٨ ـ ٤٠.

(٥) الأنبياء : ٤٧.

(٦) الأنبياء : ١٠٤.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾[1].

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنْ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

﴿ قُلْ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾[4].

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾[5].

---

(١) المؤمنون : ١٠١ ـ ١٠٣.

(٢) يس : ٥١ ـ ٥٤.

(٣) الجاثية : ٢٦.

(٤) الواقعة : ١ ـ ٣.

(٥) التكوير : ١ ـ ١٤.

المعاد في الأحاديث الشريفة :

ـ ورد في حديث الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل أنّه قال : أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره ؟

قال : « يذهب فلا يعود ».

قال : فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك، إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه إذا انطفأ ؟

قال : قال : «لم تصب القياس، إنّ النار في الأجسام كامنة قائمة بأعيانها، كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بآخر سطعت من بينهما نار يقتبس منها سراج له ضوء، فالنار ثابتة في أجسامها، والضوء ذاهب، والروح جسم رقيق، قد ألبس قالباً كثيفاً ليس بمنزلة السراج الذي ذكرت، إنّ الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صافٍ وركّب فيه ضروباً مختلفة من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته ويعيده بعد فنائه »[1].

ـ وسئل الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام : ما الموت الذي جهلوه ؟

قال : «أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم بثور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنّتهم إلى نار لا تنفذ »[2].

---

(١) بحار الأنوار ٦ : ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه.

ـ وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام :

«لمّا اشتدّ الأمر على الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم، لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين صلوات الله عليه وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت ؟ فقال لهم الحسين عليه السلام : صبراً بني الكرام، فما الموت إلّا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر ؟ وما هو لأعدائكم إلّا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إنّ أبي حدّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كُذبت ولا كَذبت»[1].

ـ وقيل لمحمّد بن عليّ عليه السلام : ما الموت ؟

قال : «هو النوم الذي يأتيكم كلّ ليلة إلّا أنّه طويل مدّته، لا ينتبه منه إلّا يوم القيامة، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره، ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره، فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه ؟ هذا هو الموت فاستعدّوا له»[2].

ـ وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام في رواية نفخ الصور :

«... فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله مجيباً لنفسه في قوله تعالى :

(١) المصدر نفسه .

(٢) بحار الأنوار ٦ : ١٥٤ ـ ١٥٥.

لمن الملك : لله الواحد القهّار، وأنا قهرت الخلائق كلّهم وأمتّهم، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، وحدي لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت بيدي وأنا أمتّهم بمشيّتي وأنا أُحييهم بقدرتي، قال : فنفخ الجبّار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات أحد إلّا حي وقام كما كان، ويعود حملة العرش ويحضر الجنّة والنار ويحشر الخلائق للحساب، قال : فرأيت عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما يبكي عند ذلك بكاءً شديداً»[1].

ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته :

«فإنّ الغاية أمامكم، وإنّ وراءكم الساعة تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا، فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم»[2].

ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«واتّقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحّلوا فقد جدّ بكم، واستعدّوا للموت فقد أظلّكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدىً، وما بين أحدكم وبين الجنّة أو النار إلّا الموت أن ينزل به ... فيا لها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة، وأن تؤدّيه أيامه إلى شقوة، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإيّاكم ممّن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربّه غاية، ولا تحلّ به بعد الموت ندامة ولا كآبة»[3].

(١) بحار الأنوار ٦ : ٣٢٤.

(٢) بحار الأنوار ٦ : ١٣٥.

(٣) نهج البلاغة : ١٦٥.

ـ وقال عليه السلام :

«وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه أماد السماء وفطرها، وأرج الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودلّ بعضها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سطوته، وأخرج من فيها فجدّدهم بعد أخلاقهم، وجمعهم بعد تفريقهم، ثمّ ميّزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء، فأمّا أهل طاعته فأثابهم بجواره، وخلّدهم في داره»[1].

هذا قبس من أنوار الهداية من الكتاب وسنّة النبيّ وعترته الطاهرين صلى الله عليه وآله، في أُصول الدين. نسأل الله حقّ اليقين بالعلم والعمل الصالح، آمين ربّ العالمين.

ونودّ أن نذكر (دعاء العديلة) من كتاب (مفاتيح الجنان) لخاتم المحدّثين الشيخ عباس القمّي (عليه الرحمة)، يشتمل على الأُصول الخمسة، والأفضل قراءته بين حين وآخر، لا سيّما في الآيام المباركة والأماكن المشرّفة، بل عند الأئمة الأطهار، كما فعل سيّدنا عبد العظيم الحسني، الذي له مزار جليل في مدينة ري بجوار طهران عاصمة إيران، حينما عرض دينه على إمام زمانه الإمام الهادي عليه السلام فدعا له الإمام، ونحن نعتقد في أئمتنا عليهم السلام كما جاء في زيارة مولانا الإمام الرضا عليه السلام: «أشهد أنّك ترى مكاني وتسمع كلامي وترد سلامي». فالإمام المعصوم يرى ويسمع.

(١) نفس المصدر: ٢٦٣.

فإليكم دعاء العديلة[1]، وسأجعل لكم الأُصول الخمسة بين قوسين إتماماً للفائدة:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

١ ـ التوحيد:

«شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، إنّ الدين عند الله الإسلام، وأنا العبد الضعيف المذنب العاصي المحتاج الحقير، أشهد لمنعمي وخالقي ورازقي ومكرمي كما شهد لذاته وشهدت له الملائكة وأُولوا العلم من عباده بأنّه لا إله إلّا هو ذو النعم والإحسان والكرم والامتنان، قادر أزلي عالم أبدي حيّ أحدي موجود سرمدي سميع بصير مريد كاره مدرك صمدي، يستحقّ هذه الصفات وهو على ما هو عليه في صفاته، كان قوياً قبل وجود القدرة والقوّة، وكان عليماً قبل إيجاد العلم والعلّة، لم يزل سلطاناً إذ لا مملكة ولا مال، ولم يزل سجّاناً على جميع الأحوال، وجوده قبل القبل في أزل الأزل، وبقاؤه بعد البعد من غير انتقال ولا زوال، غنيّ في الأوّل والآخر، مستغنٍ في الباطن والظاهر».

٢ ـ العدل:

«لا جور في قضيّته، ولا ميل في مشيّته، ولا ظلم في تقديره، ولا مهرب من حكومته، ولا ملجأ من سطواته، ولا منجى من نقماته، سبقت رحمته غضبه، ولا يفوته أحد إذا طلبه، أزاح العلل في التكليف، وسوّى التوفيق بين الضعيف

(١) مفاتيح الجنان المعرّب: ١٩٦.

والشريف، مكّن أداء المأمور وسهّل سبيل اجتناب المحظور، لم يكلّف الطاعة إلّا دون الوسع والطاقة، سبحانه ما أبين كرمه وأعلى شأنه، سبحانه ما أجلّ نيله وأعظم إحسانه».

٣ ـ النبوّة :

«بعث الأنبياء ليبيّن عدله، ونصب الأوصياء ليظهر طوله وفضله، وجعلنا من أُمّة سيّد الأنبياء وخير الأولياء وأفضل الأصفياء وأعلى الأزكياء محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، آمنّا به وبما دعانا إليه وبالقرآن الذي أنزله عليه».

٤ ـ الإمامة :

«وبوصيّه الذي نصبه يوم الغدير، وأشار بقوله هذا عليّ إليه، وأشهد أنّ الأئمة الأبرار والخلفاء الأخيار بعد الرسول المختار، عليّ قامع الكفّار، ومن بعده سيّد أولاده الحسن بن علي، ثمّ أخوه السبط التابع لمرضاة الله الحسين، ثمّ العابد عليّ، ثمّ الباقر محمّد، ثمّ الصادق جعفر، ثمّ الكاظم موسى، ثمّ الرضا علي، ثمّ التقي محمّد، ثمّ النقيّ علي، ثمّ الزكيّ الحسن، ثمّ الحجّة الخلف القائم المنتظر المهدي المرجّى الذي ببقائه بقيت الدنيا وبيمنه رزق الورى وبوجوده ثبت الأرض والسماء، وبه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأشهد أنّ أقوالهم حجّة، وامتثالهم فريضة، وطاعتهم مفروضة، ومودّتهم لازمة مقضيّة، والاقتداء به منجية، ومخالفتهم مردية، وهم سادات أهل الجنّة أجمعين، وشفعاء يوم الدين، وأئمة أهل الأرض على اليقين، وأفضل الأوصياء المرضيين».

٥ ـ المعاد :

«وأشهد أنّ الموت حقّ، ومسائلة القبر حقّ، والبعث حقّ، والنشور

والصراط حقّ، والميزان حقّ، والحساب والكتاب حقّ، والجنّة حقّ، والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور».

«اللهمّ فضلك رجائي، وكرمك ورحمتك أملي، لا عمل لي أستحقّ به الجنّة، ولا طاعة لي أستوجب بها الرضوان، إلّا أنّي اعتقدت توحيدك وعدلك، وارتجيت إحسانك وفضلك، وتشفّعت إليك بالنبيّ وآله من أحبّتك، وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، وصلّى الله على نبيّنا محمّد وآله أجمعين الطيّبين الطاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً كثيراً، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».

«اللهمّ يا أرحم الراحمين، إنّي أودعتك يقيني هذا وثبات ديني، وأنت خير مستودع، وقد أمرتنا بحفظ الودائع، فردّه عليّ وقت حضور موتي برحمتك يا أرحم الراحمين».

ثمّ قال صاحب الكتاب، المحقّق الشيخ عباس القمّي قدس سره : قد ورد في الأدعية المأثورة : «اللهمّ إنّي أعوذ بك من العديلة عند الموت»، ومعنى العديلة عند الموت : هو العدول إلى الباطل عن الحقّ، وهو بأن يحضر الشيطان عند المحتضر ويوسوس في صدره ويجعله يشكّ في دينه، فيستلّ الإيمان من فؤاده، ولهذا قد وردت الاستعاذة منها في الدعوات.

وقال فخر المحقّقين ابن العلّامة الحلّي رحمهما الله : من أراد أن يسلم من العديلة فليستحضر الإيمان بأدلّتها، والأُصول الخمس ببراهينها القطعية، بخلوص وصفاء، وليودعها الله تعالى ليردّها إليه في ساعة الاحتضار، بأن يقول بعد استحضار عقائده الحقّة :

«اللهمّ يا أرحم الراحمين، إنّي قد أودعتك يقيني هذا وثبات ديني، وأنت خير مستودع، وقد أمرتنا بحفظ الودائع، فردّه عليَّ وقت حضور موتي».

فقراءة هذا الدعاء الشريف ـ دعاء العديلة ـ واستحضار مضمونه في البال تمنح المرء أماناً من خطر العديلة عند الموت.

وأمّا هذا الدعاء، فهل هو عن المعصوم عليه السلام، أم هو إنشاء من بعض العلماء؟ يقول في ذلك خريت صناعة الحديث وجامع أخبار الأئمة عليهم السلام، العالم المتبحّر الخبير والمحدّث الناقد البصير مولانا الحاجّ ميرزا حسين النوري (نوّر الله مرقده): وأمّا دعاء العديلة المعروفة، فهو من مؤلفات بعض أهل العلم، ليس بمأثور ولا موجود في كتب حملة الأحاديث ونقّادها.

واعلم أنّه روى الطوسي عليه الرحمة، عن محمّد بن سليمان الديلمي، أنّه قال للصادق عليه السلام: إنّ شيعتك تقول: إنّ الإيمان قسمين: فمستقرّ ثابت، ومستودع يزول، فعلّمني دعاءً يكمل به إيماني إذا دعوت به فلا يزول. قال عليه السلام: «قل عقيب كلّ صلاة مكتوبة: (رضيت بالله ربّاً، وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة، وبعليّ ولياً وإماماً، وبالحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والحجّة بن الحسن صلوات الله عليهم أئمة، اللهمّ إنّي رضيت لهم أئمة فارضني بهم، إنّك على كلّ شيءٍ قدير)، وفي دعاء آخر عن الكفعمي، تقول بعد الصلوات: (رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً، وبعليّ إماماً، وبالحسن والحسين وعليّ ومحمّد وجعفر وموسى وعليّ ومحمّد وعليّ والحسن والخلف الصالح عليهم السلام أئمة

وسادة وقادة، بهم أتولّى، ومن أعدائهم أتبرّأ)»، ثمّ تقول ثلاثاً: «اللهمّ إنّي أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة».

هذه نبذة ممّا أردنا بيانه في أُصول الدين التي هي بمنزلة جذور شجرة الإسلام المترسّخة في صدور المؤمنين.

وختاماً أُهدي إليك (مناجاة العارفين)، وختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون:

(مناجاة العارفين)[1]

«بسم الله الرحمن الرحيم.

إلهي، قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك، ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلّا بالعجز عن معرفتك.

إلهي، فاجعلنا من الذين ترسّخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبّتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون،

---

(١) المناجاة الثانية عشر من المناجات الخمسة عشر المعروفة لمولانا الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد ذكرها الشيخ القمّي في (مفاتيح الجنان)، وهي من كنوز الأدعية ودررها وبحار موّاجة من المعارف الإلهية، وشموس وهّاجة من العلوم الربّانية، فعليكم بها لا سيّما المناجاة الثامنة (مناجاة المريدين).

وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبّة بكأس الملاطفة يكرعون، وشرائع المصافاة يردون، قد كشف الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة الشكّ عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم، وعلت لسبق السعادة في الزهادة هممهم، وعذب في معين المعاملة شربهم، وطاب في مجلس الأُنس سرّهم، وأمن في موطن المخافة سربهم، واطمأنّت بالرجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم، وتيقّنت بالفوز والفلاح أرواحهم، وقرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم، واستقرّ بإدراك السؤال ونيل المأمول قرارهم، وربحت في بيع الدنيا بالآخرة تجارتهم.

إلهي، ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبّك، وما أعذب شرب قربك، فأعذنا من طردك وإبعادك، واجعلنا من أخصّ عارفيك وأصلح عبادك وأصدق طائعيك وأخلص عبادك، يا عظيم، يا جليل، يا كريم، يا منيل، برحمتك ومنك يا أرحم الراحمين».

فروع الدين

الفرع الأوّل

الصلاة

قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه الكريم :

﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُـدىً لِـلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّـذِينَ يُـؤْمِنُونَ بِـالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾[1].

وقال سبحانه في مواضع من كتابه المجيد :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾[2].

وقال جلّ وعلا :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾[3].

وقال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾[4].

---

(١) البقرة : ٢ ـ ٣.

(٢) البقرة : ٤٣، ٨٣ و ١١٠، والنساء : ٧٧ و ١٠٣، وغير ذلك .

(٣) طه : ١٣٢.

(٤) العنكبوت : ٤٥.

وقال عزّ من قائل :

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ ﴾[١].

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ ﴾[٢].

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾[٣].

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾[٤].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾[٥].

إنّ الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده، يريد لهم السعادة الأبدية، ومن لطفه يهديهم بكتبه ورسله إلى الصراط المستقيم، وإنّما كلّفهم بتكاليف وأحكام شرعية من أجل ذلك، وجعل أحكامه من الواجبات والمحرّمات وغيرهما طبقاً لمصالح عباده في نفس أفعالهم، فما فيه المصلحة الملزمة التامّة جعله واجباً وأمر به، وما فيه المفسدة البالغة جعله حراماً ونهى عنه، وما فيه المصلحة الراجحة مع جواز الترك ندب إليه وجعله مستحبّاً، وما فيه المفسدة الراجحة مع جواز الإتيان نهى عنه نهياً تنزيهيّاً فجعله مكروهاً، وفي تساوي الإتيان والترك فهو المباح.

---

(١) لقمان : ١٧.

(٢) البقرة : ٢٣٨.

(٣) النساء : ١٠٣.

(٤) مريم : ٥٥.

(٥) إبراهيم : ٤٠.

فهذه التكاليف الشرعية ـ الواجب والحرام والمستحبّ والمكروه والمباح ـ ليست إلّا من عدله ولطفه بعباده ليعرضهم للثواب، ومن ثمّ السعادة الدنيوية والأُخروية، وجنّات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار فيها ما لا رأت عينٌ ولا سمعت أُذن، وذلك فضل الله وثوابه.

ولا بدّ أن تكون له سبحانه وتعالى في كلّ واقعة وحادثة حكم تكليفي يشترك فيه العالم والجاهل، فلا يخلو شيء من حكم واقعي في علم الله، وإن انسدّ علينا طريق العلم به، فإنّه نعمل بالظنّ المعتبر شرعاً كخبر الواحد الثقة وظواهر الكتاب، وذلك في فروع الدين وأحكامها، لا في أُصوله، فإنّ الله جعل الظنّ المعتبر بمنزلة العلم عند انسداده.

ومن أهمّ الفروع الدينية والواجبات الإلهية في الدين الإسلامي الحنيف هو الصلاة، وما أدراك ما الصلاة ؟ فإنّ الصلوات اليومية الخمس لهي من أفضل الأعمال الدينية وأحبّها إلى الله سبحانه، وهي آخر وصايا الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وهي قوام الإسلام وعمود الدين، إن قُبلت في الآخرة وفي الميزان الإلهي قُبل ما سواها من الأفعال والأعمال، وإن رُدّت رُدّ ما سواها. فهي أوّل ما ينظر فيه من عمل ابن آدم، فإن صحّت وقُبلت ينظر في عمله، وإن لم تصحّ لم يُنظر في بقيّة أعماله، كما ورد ذلك عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وعترته الأطهار وصحبه الأخيار.

وقد جاء في الحديث الشريف :

١ ـ «مثل الصلاة كمثل النهر الجاري، فكما أنّ من اغتسل فيه كلّ يوم خمس مرّات لم يبقَ في بدنه شيء من الدرن والأوساخ، فكذلك كلّما صلّى صلاة

فقد كفّر ما بينهما من الذنوب والمعاصي»[١].

ويكفيك في عظمة الصلاة أنّها الفارق بين المسلم والكافر، وأوّل شيء يسئل عنه من العبد يوم القيامة الصلاة، فإذا جاء بها تامّة، وإلّا زخّ في النار[٢].

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حافظوا على الصلوات الخمس، فإنّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يدعو بالعبد، فأوّل شيء يسأل عنه الصلاة، فإن جاء بها تامّاً وإلّا زخ في النار».

٣ ـ «أوّل ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته، فإن قبلت نظر في غيرها، وإن لم تقبل لم ينظر في عمله شيء».

وحكمة الصلاة الطهر والتواضع لله سبحانه وأنّها الملّة.

٤ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«عباد الله، إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله جلّ ذكره: الإيمان بالله وبرسله وما جاءت به من عند الله... وإقامة الصلاة فإنّها الملّة».

٥ ـ «فرض الله الصلاة تنزيهاً عن الكبر».

٦ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«الصلاة تثبيت للإخلاص وتنزيه عن الكبر».

---

(١) بحار الأنوار ٨٢: ٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار ٨٢: ٢٠١، عن جامع الأخبار.

٧ ـ عن الإمام الرضا عليه السلام فيما كتب عن علّة الصلاة، قال:

«إنّها إقرار بالربوبيّة لله عزّ وجلّ، وخلع الأنداد، وقيام بين يدي الجبّار جلّ جلاله بالذلّ والمسكنة والخضوع والاعتراف، والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الوجه على الأرض كلّ يوم خمس مرّات إعظاماً لله عزّ وجلّ، وأن يكون ذاكراً غير ناسٍ ولا بطر، ويكون خاشعاً متذلّلاً راغباً طالباً للزيادة في الدين والدنيا، مع ما فيه من الانزجار والمداومة على ذكر الله عزّ وجلّ بالليل والنهار، لئلّا ينسى العبد سيّده ومدبّره وخالقه فيبطر ويطغى، ويكون في ذكره لربّه وقيامه بين يديه زاجراً له عن المعاصي وماعاً من أنواع الفساد».

وفي فضل المصلّي:

٨ ـ يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما سرّه أن يرفع رأسه من سجوده».

٩ ـ «إنّ الإنسان إذا كان في الصلاة فإنّ جسده وثيابه وكلّ شيء حوله يسبّح».

١٠ ـ «إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل إبليس ينظر إليه حسداً لما يرى من رحمة الله التي تغشاه».

١١ ـ «وما دمت في الصلاة فإنّك تقرع باب الملك الجبّار، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له».

١٢ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

«ما من مؤمن يقوم إلى الصلاة إلّا تناثر عليه البرّ ما بينه وبين العرش، ووكّل به ملك ينادي : يا ابن آدم، لو تعلم ما لك في صلاتك ومن تناجي ما سئمت وما التفت»[1].

وتبلغ من العظمة ذروتها، ومن الأهمية البالغة أنّها آخر ما أوصى بها مولانا وإمامنا الصادق عليه السلام.

١٣ ـ فعن أبي بصير، قال : دخلت على أُمّ حميدة أُعزّيها بأبي عبد الله عليه السلام، فبكت وبكيت لبكائها، قالت : يا أبا محمّد، لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينه ثمّ قال :

«اجمعوا كلّ من بيني وبينه قرابة».

قالت : فما تركنا أحداً إلّا جمعناه، فنظر إليهم ثمّ قال :

«إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة».

فشفاعة أهل البيت عليهم السلام لا ينالها من يستخفّ بالصلاة، فكيف بمن يتركها ؟ !

١٤ ـ كما جاء في الخبر الصحيح عن مولانا الصادق عليه السلام :

«ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى إلى العبد الصالح عيسى بن مريم قال : وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً»[2].

(١) البحار ٨٢ : ٢٣٤.

(٢) بحار الأنوار ٨٢ : ٢٢٥.

وقد استفاضت الروايات في الحثّ على المحافظة عليها في أوائل الأوقات، وإنّ من استخفّ بها كان بحكم التارك لها.

١٥ ـ فقد قال الرسول الأعظم منجي عالم البشرية من حضيض الجهل والشقاء إلى وادي العلم والسعادة والهناء صلى الله عليه وآله :

«ليس منّي من استخفّ بصلاته، لا يرد على الحوض، لا والله».

١٦ ـ وقال :

«لا تضيّعوا صلاتكم، فإنّ من ضيّع صلاته حُشر مع قارون وفرعون وهامان، وكان حقّاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ على صلاته»[1].

١٧ ـ كما ورد في الخبر الشريف : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام فصلّى فلم يتمّ ركوعه ولا سجوده، فقال عليه السلام :

«نقر كنقر الغراب، لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير ديني».

وبالجملة، فما ورد من الآيات الشريفة أكثر من أن يحصى، تدلّ بوضوح وترشدنا إلى عظمة الصلاة في الإسلام، ولله درّ صاحب الدرّة[2]، قال :

تنهى عن المنكرِ والفحشاء أقصر فهذا منتهى الثناء

وعن أمين الإسلام الشيخ الطبرسي في مجمع البيان في قوله تعالى : ﴿ إنَّ

(١) بحار الأنوار ٨٢ : ٢٠١، عن جامع الأخبار : ٨٧.

(٢) الدرّة النجفية ؛ لسيّد الطائفة السيّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي.

الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ﴾[١]، قال: في هذا دلالة على أنّ فعل الصلاة لطف للمكلّف في ترك القبيح والمعاصي التي يقرّرها العقل والشرع، فإن انتهى عن القبيح يكون توفيقاً، ولا فقد أتى المكلّف من قبل نفسه.

١٨ ـ وروي أنّ فتىً من الأنصار كان يصلّي الصلاة مع رسول الله ﷺ ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال:

«إنّ صلاته تنهاه يوماً ما».

فلم يلبث أن تاب[٢].

١٩ ـ روى أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«من أحبّ أن يعلم أُقبِلَت صلاته أم لم تُقبل؟ فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر؟ فبقدر ما منعته قبلت منه».

٢٠ ـ قال رسول الله ﷺ:

«من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلّا بُعداً».

٢١ ـ «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر».

٢٢ ـ وقال في رجل يصلّي بالنهار ويسرق بالليل:

«إنّ صلاته لتردعه».

فالويل كلّ الويل لمن تركها متعمّداً، فإنّما يُسئل أهل النار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار ٨٢: ٢٨٥.

فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ ﴾[١].

٢٣ ـ ويقول رسول الله ﷺ:

«في جهنّم وادٍ، فيه حيّات، كلّ حيّة ثخن رقبة البعير، تلسع تارك الصلاة، فيغلي سمّها جسمه سبعين سنة، ثمّ يتهرّى لحمه».

٢٤ ـ وقال ﷺ:

«ما بين المسلم والكافر إلّا أن يترك الصلاة الفريضة متعمّداً أو يتهاون بها فلا يصلّيها»[٢].

٢٥ ـ وقال ﷺ:

«لا ينال شفاعتي غداً من أخّر المفروضة بعد وقتها»[٣].

الله الله في صلاتكم، فقد اهتمّ بها أئمة الدين غاية الاهتمام، ولا تترك في أيّ حال من الأحوال حتّى حين الغرق، فلو سمع الغريق صوت المؤذّن فإنّه يأتي بصلاته ولو بتكبيرة الإحرام.

٢٦ ـ عن مولانا أبي الحسن العسكري عليه السلام، قال:

«كلّم الله عزّ وجلّ موسى بن عمران عليه السلام، قال موسى: إلهي، ما جزاء من صلّى الصلوات لوقتها؟ قال: أعطيته سؤله وأُبيحه جنّتي».

ولا خير في عمل قدّم على الصلاة، كما ورد في الأثر، وعلينا أن نقول

(١) المدّثّر: ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) عقاب الأعمال: ٢٣١.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ٢٨١.

لأعمالنا: علينا صلاة، ولا نقول للصلاة: عندنا شغل وعمل، فنجعلها آخر أعمالنا كما يفعل البعض ومع الأسف الشديد.

٢٧ ـ عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال:

«قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس [أيّها الناس] قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلاتكم»[١]. والمراد من النيران الذنوب، وإنّما شُبّهت بالنار إذ تهلك من وقع فيها.

٢٨ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في كلام يوصي أصحابه:

«تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»[٢].

فالصلاة من شرائع الدين، وهي منهاج الأنبياء وقربان كلّ تقيّ مؤمن.

٢٩ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الصلاة من شرايع الدين، وفيها مرضاة الربّ عزّ وجلّ، وهي منهاج الأنبياء»[٣].

٣٠ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«ليكن أكثر همّك الصلاة، فإنّها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين»[٤].

(١) أمالي الصدوق: ٢٩٧.

(٢) بحار الأنوار ٨٢: ٢٢٤، عن نهج البلاغة.

(٣) الخصال ٣: ٥٢٢.

(٤) البحار ٧٧: ١٢٧.

٣١ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«لكلّ شيء وجه، ووجه دينكم الصلاة»[١].

٣٢ ـ وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«الصلاة حصن من سطوات الشيطان».

٣٣ ـ وقال عليه السلام:

«الصلاة تستنزل الرحمة، الصلاة ميزان، فمن وفّى استوفى».

٣٤ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«جعل الله جلّ ثناؤه قرّة عيني في الصلاة، وحبّب إليّ الصلاة كما حبّب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء، وإنّ الجائع إذا أكل شبع، وإنّ الظمآن إذا شرب روي، وأنا لا أشبع من الصلاة»[٢].

٣٥ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«كان رسول الله لا يؤثر على الصلاة عشاءً ولا غيره، وكان إذا دخل وقتها كأنّه لا يعرف أهلاً ولا حميماً»[٣].

٣٦ ـ وقال عليه السلام:

«الصلاة قربان كلّ تقيّ».

«الصلاة أفضل القربتين».

(١) دعائم الإسلام ١: ١٣٣.

(٢) مكارم الأخلاق ٢: ٣٦٦.

(٣) تنبيه الخواطر ٢: ٧٨.

«أُوصيكم بالصلاة وحفظها، فإنّها خير العمل وهي عمود دينكم».

٣٧ ـ وعن الإمام الكاظم عليه السلام:

«صلوات النوافل قربات كلّ مؤمن».

٣٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء»[1].

«الصلاة عماد الدين».

٣٩ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«إذا قمت إلى الصلاة وتوجّهت وقرأت أُمّ الكتاب وما تيسّر من السور، ثمّ ركعت فأتممت ركوعها وسجودها، وتشهّدت وسلّمت غفر لك كلّ ذنب فيما بينك وبين الصلاة التي قدّمتها إلى الصلاة المؤخّرة».

٤٠ ـ وقال لأصحابه لمّا أخذ غصناً من شجرة كانوا في ظلّه، فنفضه فتساقط ورقه وأخبرهم عمّا صنع:

«إنّ العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاتت عنه خطاياه كما تحاتت ورق هذه الشجرة».

٤١ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«تحترقون ـ أي بالذنوب ـ فإذا صلّيتم الفجر غسلتها، ثمّ تحترقون فإذا صلّيتم الظهر غسلتها، ثمّ تحترقون فإذا صلّيتم المغرب غسلتها، ثمّ تحترقون

(١) الكافي ٣ : ٢٦٤.

تحترقون فإذا صلّيتم العشاء غسلتها، ثمّ تنامون فلا يكتب عليكم حتّى تغتسلوا»[1].

٤٢ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«سمعت منادياً عند حضرة كلّ صلاة فيقول: يا بني آدم، قوموا فأطفئوا عنكم ما أوقدتموه على أنفسكم، فيقومون فيتطهّرون فتسقط خطاياهم من أعينهم، ويصلّون فيغفر لهم ما بينهما...».

٤٣ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصيّته بالصلاة:

«وإنّها لتحتّ الذنوب حتّ الورق، وتطلقها إطلاق الريق».

«الصلوات الخمس كفّارة لما بينهنّ ما اجتنبت من الكبائر، وهي التي قال الله: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[2]».

وأمّا حدود الصلاة:

٤٤ ـ فقد قال الإمام الرضا عليه السلام:

«الصلاة لها أربعة آلاف باب».

٤٥ ـ وقال الصادق عليه السلام:

«للصلاة أربعة آلاف حدود».

٤٦ ـ وقال لحمّاد بن عيسى من أصحابه:

(١) البحار ٨٢ : ٢٢٣.

(٢) هود : ١١٤.

«تحسن أن تصلّي يا حمّاد ؟... قم صلّ، فقمت بين يديه متوجّهاً إلى القبلة فاستفتحت الصلاة وركعت وسجدت، فقال: يا حمّاد! لا تحسن أن تصلّي ؟! ما أقبح بالرجل أن يأتي عليه ستّون سنة أو سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامّة ؟!»[1].

فلا بدّ من رعاية آداب الصلاة وحدودها:

٤٧ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ الرجلين من أُمّتي يقومان في الصلاة، وركوعهما وسجودهما واحد، وإنّ ما بين صلاتيهما مثل ما بين السماء والأرض».

فللصلاة آداب كثيرة ظاهريّة وباطنيّة لها دخل في تمامها وكمالها وعروجها.

منها: الخشوع، قال الله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾[2].

٤٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الخشوع زينة الصلاة».

«لا صلاة لمن لا يتخشّع في صلاته».

٤٩ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«يا كميل، ليس الشأن أن تصلّي وتصوم وتتصدّق، إنّما الشأن أن تكون

(١) أمالي الصدوق: ٣٣٧.

(٢) المؤمنون: ١ ـ ٢.

الصلاة فُعلت بقلب نقي، وعمل عند الله مرضيّ، وخشوع سويّ».

٥٠ ـ ولمّا سئل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن الخشوع، قال:

«التواضع في الصلاة، وأن يقبل العبد بقلبه كلّه على ربّه».

٥١ ـ وأنّه رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، قال:

«أما إنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه».

فالخشوع يكون بالقلب والجوارح معاً، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قام إلى الصلاة تربّد وجهه خوفاً من الله تعالى. وكان عليّ عليه السلام إذا قام للصلاة وقال: «وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض» تغيّر لونه، حتّى يعرف ذلك في وجهه. وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله تعالى، وزهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ترتعد فرائصها وتقبل بقلبها على عبادة الله، وهكذا الأئمة الأطهار عليهم السلام كانت ترتعد فرائصهم ويصفرّ وجههم ويتغيّر لونهم وتقشعرّ جلودهم.

ومنها: الورع عن محارم الله.

٥٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لو صلّيتم حتّى تكونوا كالأوتار، وصمتم حتّى تكونوا كالحنايا، لم يقبل الله منكم إلّا بورع».

٥٣ ـ وفيما أوحى الله إلى داود النبيّ صلى الله عليه وآله:

«كم ركعة طويلة فيها بكاء بخشية قد صلّاها صاحبها لا تساوي عندي فتيلاً حين نظرت في قلبه ووجدته إن سلّم من الصلاة وبرزت له امرأة وعرضت عليه نفسها أجابها، وإن عامله مؤمن خانه».

٥٤ ـ وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«أُنظر فيم تصلّي، إن لم تكن من وجهه وحلّه فلا قبول».

٥٥ ـ ولمّا سئل الإمام زين العابدين عليه السلام عن سبب قبول الصلاة قال :

«ولايتنا والبراءة من أعدائنا».

٥٦ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«قال الله تبارك وتعالى : إنّما أقبل الصلاة لمن تواضع لعظمتي، ويكفّ نفسه عن الشهوات من أجلي، ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعاظم على خلقي، ويطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس، أجعل له في الظلمات نوراً وفي الجهالة علماً».

٥٧ ـ «وعقوق الوالدين مانع من قبول الصلاة».

٥٨ ـ «ومن اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلّا أن يغفر له صاحبه».

٥٩ ـ «ومن استخفّ بالصلاة فلا يقبل منه، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل إلّا الحسن، فكيف تقبل ما يستخفّ به».

٦٠ ـ «ومن شرب الخمر لم تحسب صلاته أربعين صباحاً، إلّا أن يتوب».

ومنها : حضور القلب في الصلاة.

٦١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«لا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه».

٦٢ ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«لا يقومنّ أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعساً، ولا يفكّرن في نفسه،

فإنّه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وإنّما للعبد في صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه».

٦٣ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله :

«إنّ العبد ليصلّي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عُشرها، وإنّما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها».

«إذا قمت في صلاتك فأقبل على الله بوجهك يقبل عليك».

٦٤ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام :

«إذا قام العبد إلى الصلاة أقبل الله عزّ وجلّ عليه بوجهه، فلا يزال مقبلاً عليه حتّى يلتفت ثلاث مرّات، فإذا التفت ثلاث مرّات أعرض عنه».

ومنها : التدبّر في الصلاة.

٦٥ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ :

«يا أبا ذر، ركعتان مقتصدتان في تفكّر خير من قيام ليلة والقلب ساهي».

٦٦ ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«من صلّى ركعتين ولم يحدّث فيهما نفسه بشيء من أُمور الدنيا غفر الله له ذنوبه».

٦٧ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام :

«إنّ ربّكم لرحيم يشكر القليل، إنّ العبد ليصلّي الركعتين يريد بها وجه الله فيدخله الله به الجنّة».

٦٨ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«صلّ صلاة مودّع، فإنّ فيها الوصلة والقربى، واعلم أنّك بين يدي من يراك ولا تراه، وإنّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العُشر،

وإنّ منها لما يلفّ كما يلفّ الثوب الخَلق ـ أي القديم ـ فيضرب بها وجه صاحبها، وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك».

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا صلاة لمن لا يتمّ ركوعها وسجودها».

٦٩ ـ «لا صلاة لمن لا زكاة له».

٧٠ ـ «يأتي على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم يصلّون ليس فيهم مؤمن».

٧١ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«ربّ متمسّك ولا دين له».

ومنها: عدم التكاسل في الصلاة.

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[1].

٧٢ ـ عن الحلبي يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا... ﴾، قال:

«يعني سكر النوم، يقول: وبكم نُعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم وسجودكم وتكبيركم، ليس كما يصف كثير من الناس يزعمون أنّ المؤمنين يسكرون من الشراب، والمؤمن لا يشرب مسكراً ولا يسكر»[2].

(١) النساء: ٤٣.

(٢) تفسير العيّاشي ١: ٢٤٢.

٧٣ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام:

«لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً، فإنّها من خلل النفاق، وإنّ الله نهى المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى، يعني من النوم».

ومنها: المحافظة على أوقات الصلوات.

٧٤ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما من عبد اهتمّ بمواقيت الصلاة ومواضع الشمس إلّا ضمنت له الروح عند الموت، وانقطاع الهموم والأحزان، والنجاة من النار».

قال الله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾[1].

٧٥ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«ليس عمل أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من الصلاة، فلا يشغلنكم عن أوقاتها شيء من أُمور الدنيا، فإنّ الله عزّ وجلّ ذمّ أقواماً فقال: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ يعني أنّها غافلون استهانوا بأوقاتها».

٧٦ ـ وقال عليه السلام في كتابه لمحمّد بن أبي بكر لمّا أرسله إلى مصر:

«ارتقب وقت الصلاة فصلّها لوقتها، ولا تعجّل بها قبله لفراغ، ولا تؤخّرها عنه لشغل».

٧٧ ـ «حسب الرجل من دينه، كثرة محافظته على إقامة الصلوات».

(١) الماعون: ٤ ـ ٥.

٧٨ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام :

«فضل الوقت الأوّل على الأخير كفضل الآخرة على الدنيا».

٧٩ـ عن الإمام الباقر عليه السلام :

«اعلم أنّ أوّل الوقت أبداً أفضل، فعجّل بالخير ما استطعت، وأحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ ما داوم العبد عليه وإن قلّ».

٨٠ـ «أوّل الوقت رضوان الله، وآخر الوقت عفو الله».

٨١ـ «أوّله جزور، وآخره عصفور».

٨٢ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«بين الكفر والإيمان ترك الصلاة».

٨٣ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«الصلاة عماد الدين، فمن ترك صلاته متعمّداً فقد هدم دينه، ومن ترك أوقاتها يدخل الويل، والويل وادٍ في جهنّم كما قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾».

٨٤ـ وعنه صلى الله عليه وآله :

«من ترك الصلاة لا يرجو ثوابها ولا يخاف عقابها، فلا أُبالي أن يموت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً».

٨٥ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام لمّا سئل عن علّة تسمية تارك الصلاة كافراً دون الزاني :

«لأنّ الزاني وما أشبهه إنّما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنّها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلّا استخفافاً بها».

٨٦ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لمحمّد بن أبي بكر قال :

«واعلم يا محمّد، إنّ كلّ شيء تبع لصلاتك، واعلم أنّ من ضيّع الصلاة فهو لغيرها أضيع».

٨٧ـ عن الإمام الصادق عليه السلام :

«إنّ العبد إذا صلّى لوقتها وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقيّة تقول: حفظتني حفظك الله، وإذا لم يصلّها لوقتها ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة تقول: ضيّعتني ضيّعك الله».

٨٨ـ قال الإمام الباقر عليه السلام :

«لا تتهاون بصلاتك، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال عند موته: ليس منّي من استخفّ بصلاته».

وإليكم جوامع آداب الصلاة :

٨٩ـ عن مولانا زين العابدين الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال :

«وحقّ الصلاة أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عزّ وجلّ، وأنّك فيها قائم بين يدي الله عزّ وجلّ، فإذا علمت ذلك قمت مقام الذليل الحقير، الراغب الراهب، الراجي الخائف، المستكين المتضرّع، والمعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها».

٩٠ـ قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام :

«إذا استقبلت القبلة فانسَ الدنيا وما فيها، واستفرغ قلبك عن كلّ شاغل يشغلك عن الله، وعاين بسرّك عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كلّ

نفسٍ ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحقّ، وقِف على قدم الخوف والرجاء، فإذا كبّرت فاستصغر ما بين السماوات العلى والثرى دون كبريائه، فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب، أتخدعني؟ وعزّتي وجلالي لأُحرمنّك حلاوة ذكري، ولأحجبنّك عن قربي والمسارّة بمناجاتي.

واعلم أنّه غير محتاج إلى خدمتك، وهو غنيّ عن عبادتك ودعائك، وإنّما دعاك بفضله ليرحمك ويبعّدك عن عقوبته».

٩١ ـ سئل بعض العلماء من آل محمّد عليهم السلام فقيل له: جعلت فداك، ما معنى الصلاة في الحقيقة؟ قال:

«صلة الله للعبد بالرحمة، وطلب الوصال إلى الله من العبد إذا كان يدخل بالنيّة ويكبّر بالتعظيم والإجلال، ويقرأ بالترتيل، ويركع بالخشوع، ويرفع بالتواضع، ويسجد بالذلّ والخضوع، ويتشهّد بالإخلاص مع الأمل، ويسلّم بالرحمة والرغبة، وينصرف بالخوف والرجاء، فإذا فعل ذلك أدّاها بالحقيقة».

ثمّ قيل: ما أدب الصلاة؟ قال:

«حضور القلب وإفراغ الجوارح، وذلّ المقام بين يدي الله تبارك وتعالى، ويجعل الجنّة عن يمينه، والنار يراها عن يساره، والصراط بين يديه، والله أمامه».

٩٢ ـ في صحف إدريس:

«إذا دخلتم في الصلاة فاصرفوا لها خواطركم وأفكاركم، وادعوا الله دعاءً

طاهراً متفرّغاً، وسلوه مصالحكم ومنافعكم بخضوع وخشوع وطاعة واستكانة، وإذا ركعتم وسجدتم فأبعدوا عن نفوسكم أفكار الدنيا وهواجس السوء وأفعال الشرّ واعتقاد المكر ومآكل السحت والعدوان والأحقاد، واطرحوا بينكم ذلك كلّه».

٩٣ ـ وفيما أوحى الله إلى موسى بن عمران:

«عجّل التوبة، وأخّر الذنب، وتأنّ في المكث بين يديّ في الصلاة»[1].

أقول: هذا غيض من فيض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المرويّة عن رسول الإسلام وعترته الطاهرين عليهم السلام، وإنّ علماءنا الأعلام ـ رحم الله الماضين وحفظ الباقين وجزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء ـ قد صنّفوا وألّفوا الكثير في معرفة الآداب المعنوية للصلاة وبيان أسرارها، وكشف القناع عن جمالها وكمالها وجلالها.

وبعد هذا كلّه، فهل يستخفّ المسلم بصلاته، أو لا يصلّيها في أوقاتها، أو يتركها ـ والعياذ بالله ـ فيكون في زمرة الكافرين؟!!...

أليست الصلاة معراج المؤمنين، وزاد المتّقين، وسراج الصالحين، ومناجاة العاشقين، وكفّارة ذنوب العاصين، وتطهير نفوس المذنبين، ورحمة ربّ العالمين، وعمود الدنيا والدين، وعنوان صحيفة المسلمين، وبركة الله في الأرضين؟!...

---

(١) نقلنا معظم هذه الروايات الشريفة من كتاب (ميزان الحكمة) وهو من البحار والوسائل والكتب الأربعة وكنز العمّال وغيرها، فراجع.

أليس من آمن بالله وعمل صالحاً يقيم الصلاة ؟...

فقم وتقرّب إلى ربّك بإقامة الصلاة بورع وتقوى وإخلاص، وتدبّر وتفكّر وإحساس، فإنّك في حضرة الله ورياض فيضه وقدسه، تحفّك الملائكة بالرحمة والبركة والاستغفار، وإنّك بعين الله البصير السميع، يحبّ أن يسمع مناجاتك في صلاتك، كما تُحبّ أن تناجيه في سرّك وعلانيتك.

أما تسمع في قلبك ووجودك نداء المؤذّن مُعلناً: «حيّ على الصلاة»، وصوت المقيم هاتفاً: «قد قامت الصلاة»...

الفرع الثاني

الصوم

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١].

صيام شهر رمضان المبارك من أهمّ الواجبات الإسلامية بعد الصلاة، وأحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام، كما ورد في الخبر الشريف عن مولانا الصادق عليه السلام:

١ ـ «بني الإسلام على خمس دعائم، على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، وولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده، وما نودي بمثل ما نودي بالولاية»[٢].

ويعتبر في الشرع الإسلامي المبين وجوب صيام شهر رمضان من ضروريات الدين، فمن أنكره تمرّداً وتحدّياً، كان كافراً، كما لو تجاهر في البلاد

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) بحار الأنوار: الجزء ٩٣.

الإسلامية بالإفطار كان عليه الحدّ والتعزير، وإن أنكره فهو مرتدّ فطري أو ملّي، ولكلّ واحد في الشرع حكمه الخاصّ.

فالصوم هو الفرع الثاني من فروع الدين، وهو الغصن الثاني من أغصان شجرة الإسلام المباركة، ويجب على كلّ مسلم كامل بالبلوغ والعقل يتمتّع بالصحّة والسلامة البدنية أن يصوم شهر رمضان المبارك، ولم يفرض على المسلمين وحسب، بل بنصّ القرآن المجيد قد فرضه وكتبه جلّ وعلا شأنه على من قبلنا، إلّا أنّه ورد في الحديث الشريف:

٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأُمم قبلنا».

فقلت له: فقول الله عزّ وجلّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ... ﴾[1]؟! قال:

«إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأُمم، ففضّل الله به هذه الأُمّة، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أُمّته».

٣ ـ وعن مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام من دعائه في وداع شهر رمضان:

«ثمّ آثرتنا به على سائر الأُمم، واصطفيتنا بفضله دون أهل الملل، فصمنا بأمرك نهاره، وقمنا بعونك ليله...».

وأمّا علّة الصيام وحكمة وجوبه:

٤ ـ فيقول مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

(١) البقرة: ١٨٣.

«أمّا العلّة في الصيام ليستوي به الغنيّ والفقير، وذلك لأنّ الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير، لأنّ الغنيّ كلّما أراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله عزّ وجلّ أن يسوّي بين خلقه، وأن يذيق الغنيّ مسّ الجوع والألم ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع».

٥ ـ ويقول الإمام الرضا عليه السلام في علّة وجوب الصوم:

«لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش، ويستدلّوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً عارفاً صابراً لما أصابه من الجوع والعطش، فيستوجب الثواب مع ما فيه من الإمساك عن الشهوات، وليكون ذلك واعظاً لهم في العاجل، ورائضاً لهم على أداء ما كلّفهم ودليلاً لهم في الأجر، وليعرفوا شدّة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا، فيؤدّوا إليهم ما فرض الله تعالى لهم في أموالهم».

٦ ـ وعن مولاتنا سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام:

«فرض الله الصيام تثبيتاً للإخلاص».

٧ ـ وعن الإمام مولانا العسكري عليه السلام لمّا سئل عن علّة وجوب الصيام:

«ليجد الغنيّ مسّ الجوع، فيمنّ على الفقير».

٨ ـ كما ورد عن الإمام مولانا الحسين عليه السلام:

«ليجد الغنيّ مسّ الجوع، فيعود بالفضل على المساكين».

٩ ـ وعن مولانا الإمام الباقر عليه السلام:

«الصيام والحجّ تسكين القلوب».

١٠ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«عليكم بالصوم، فإنّه محسمة للعروق ومذهبة للأشر».

١١ ـ وقال ﷺ :

«الصوم يدقّ المصير، ويذيل اللحم، ويبعد من حرّ السعير».

١٢ ـ وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال :

«فرض الله ... الصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق».

١٣ ـ وعنه عليه السلام :

«وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات، تسكيناً لأطرافهم وتخشيعاً لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً (تخضيعاً) لقلوبهم ...».

فالصوم : عبادة مستقلّة، عبارة عن الكفّ والإمساك عن أشياء معيّنة من الطعام والشراب وغيرهما، ويعبّر عنها بالمفطرات، كما هي مذكورة في الكتب الفقهية. وإنّما يكون هذا الإمساك في شهر معيّن ألا وهو شهر الله رمضان المبارك ربيع القرآن، ويكون المسلم والمسلمة في ضيافة الله سبحانه وتعالى.

وفي الصوم فوائد عظيمة ومنافع كثيرة لا يعوّض عنها بغيرها، كالصحّة البدنية والسلامة الروحية، والعافية النفسية، كما ورد في الحديث الشريف :

١٤ ـ «صوموا تصحّوا»[1].

١٥ ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«الصيام أحد الصحّتين».

وكذلك تقوية الإرادة ورسوخ العزم وقوّة التصميم والإحساس بآلام الفقراء والبؤساء الجياع، ومن ثمّ مساعدتهم والأخذ بأيديهم والترفيه عنهم.

(١) علل الشرائع : ٣٧٩.

وجاءت الروايات الشريفة في ثوابه وأهمّيته البالغة ما ملئت الطوامير والأسفار وكتب الحديث.

١٦ ـ قال رسول الله ﷺ :

«أيّها الناس، من صام شهر رمضان وكفّ سمعه وبصره ولسانه ويديه وجوارحه، من الكذب والحرام والغيبة والأذى، قرب يوم القيامة حتّى يمسّ ركبتيه ركبة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام».

١٧ ـ قال النبيّ ﷺ :

«ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلّا أوجب الله له سبع خصال :

أوّلها : يذوب الحرام من جسده.

والثانية : يقرب من رحمة الله.

والثالثة : يكون قد كفّر خطيئة أبيه آدم عليه السلام.

والرابعة : يهون الله عليه سكرات الموت.

والخامسة : أمان من الجوع والعطش يوم القيامة.

والسادسة : يعطيه الله براءة من النار.

والسابعة : يطعمه الله من طيّبات الجنّة»[1].

١٨ ـ وقال ﷺ :

«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله ما مضى من ذنوبه».

١٩ ـ وقال مولانا الصادق عليه السلام :

«من أفطر يوماً من شهر رمضان خرج روح الإيمان منه».

(١) بحار الأنوار : ٢٢٤، عن نهج البلاغة.

يا حبّذا أن نخوض في أعماق الروايات الشريفة، فإنّه يستخرج منها فلسفة الأحكام وعظمتها، ومعاني الأخبار ودررها، بعد التعمّق والتدبّر فيها ومطالعتها بعقلٍ سليم من الشوائب، وبروح صقلتها التقوى والورع، فإنّ حديث أهل البيت صعب مستصعب، لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان.

فهلمّ معي لأنقل لكم بعض روايات الصوم، وعليكم بالفكر والتأمّل فيها، ومن الله اللطف والتوفيق، وتفكّر ساعة خير من عبادة ستّين سنة، كما في الخبر الشريف.

٢٠ ـ قال مولانا الصادق، عن آبائه عليهم السلام:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: ألا أُخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى. قال: الصوم يسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دوابره، والاستغفار يقطع وتينه، ولكلّ شيء زكاة، وزكاة الأبدان الصيام».

٢١ ـ وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«من صام تطوّعاً ابتغاء ثواب الله وجبت له المغفرة».

٢٢ ـ وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«من صام يوماً في الحرّ فأصاب ظمأ، وكل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشّرونه حتّى إذا أفطر قال الله عزّ وجلّ: ما أطيب ريحك وروحك، يا ملائكتي، اشهدوا أنّي قد غفرت له».

٢٣ ـ وفي ما أوصى أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته:

«عليك بالصوم، فإنّه زكاة الأبدان وجُنّة لأهله».

٢٤ ـ وقد جاء في الخبر النبوي:

«للصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة يوم يلقى ربّه».

وجاء في البحار[1] عند شرح هذا الحديث: يعني بفرحة عند إفطاره فرحة المسلم بتحصيل ذلك اليوم في ديوان حسناته وفواضل أعماله، لأنّ فرحته تلك إنّما أبيح من الطعام وقته ذلك، وليس الفرح بالأكل ولحاجة البطن من شرائف ما يمدح به الصائمون، وأمّا فرحته عند لقاء ربّه عزّ وجلّ فيما يفيض الله عليه من فضل عطائه الذي ليس لأحد من أهل القيامة مثله، إلّا لمن عمل مثل عمله.

٢٥ ـ وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

«نوم الصائم عبادة، ونفسه تسبيح، وعمله متقبّل ومضاعف، ودعاؤه مستجاب».

٢٦ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«عليك بالصوم، فإنّه جُنّة من النار ـ أي يحفظك من النار ـ كالدرع الذي يحفظ صاحبه في الحرب، وكالقلعة التي تحفظ أصحابها من شرّ الأعداء».

ثمّ قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

«وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع فافعل».

٢٧ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«الصوم جُنّة من النار».

---

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٢٥١، وكذلك الروايات السابقة.

وجاء في فضل الصائم :

٢٨ ـ عن رسول الله ﷺ، قال :

«الصائم في عبادة الله وإن كان نائماً على فراشه، ما لم يغتب مسلماً».

٢٩ ـ وقال ﷺ :

«نوم الصائم عبادة، ونفسه تسبيح».

٣٠ ـ وعنه ﷺ :

«إنّ للجنّة باباً يدعى الريّان، لا يدخل منه إلّا الصائمون».

وفي خبر :

«فإذا دخل آخرهم أُغلق ذلك الباب».

٣١ ـ وقال ﷺ :

«ما من صائم يحضر قوماً يطعمون إلّا سبّحت أعضاؤه، وكانت صلاة الملائكة عليه، وكانت صلاتهم استغفاراً».

٣٢ ـ وقال ﷺ :

«من منعه الصوم من طعام يشتهيه كان حقّاً على الله أن يطعمه من طعام الجنّة ويسقيه من شرابها».

٣٣ ـ وإنّه ﷺ كان إذا أفطر يقول :

«اللهمّ لك صمنا، وعلى رزقك أفطرنا، فتقبّله منّا، ذهب الظماء وابتلّت العروق وبقي الأجر».

٣٤ ـ وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف، إنّ للصائم عند إفطاره دعوة لا تردّ».

الله الله في صومكم، فإنّه جانب أخلاقي يصقل الروح ويهذّب الإنسان، ولا بدّ مع الإمساك عن المفطرات أن تصوم جوارحه وجوانحه. ولا تظنّ إذا صمت أنّ الصوم هو ترك الطعام والشراب وباقي المفطرات لا غير، ففي الحديث الشريف :

٣٥ ـ «كم من صائمٍ ليس له من صيامه إلّا الجوع والعطش».

بل تمام الصيام بكفّ الجوارح عمّا كره الله تعالى، بل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلى المحارم وما لا يرضي الله، واللسان عن النطق بما لا يعنيه والمحرّمات، والأُذن عن الاستماع إلى ما حرّم الله، فإنّ المستمع شريك القائل.

٣٦ ـ قال الصادق عليه السلام :

«إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك»، وعدّ أشياء غير هذا.

٣٧ ـ وقال عليه السلام :

«ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك».

٣٨ ـ وزاد في خبر آخر :

«ودع المراء وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، فإنّ رسول الله ﷺ سمع امرأةً تسبّ جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها : كلي، فقالت : إنّي صائمة. فقال : كيف تكوين صائمة وقد سببتِ جاريتكِ ؟ إنّ الصوم ليس من طعام وشراب».

٣٩ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«الصيام اجتناب المحارم، كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب».

٤٠ ـ وقال عليه السلام :

«صيام القلب عن الفكر في الآثام، أفضل من صيام البطن عن الطعام».

٤١ ـ وقال عليه السلام :

«صوم القلب خير من صيام اللسان، وصيام اللسان خير من صيام البطن».

٤٢ ـ وعنه عليه السلام :

«صوم النفس عن لذّات الدنيا أنفع الصيام».

٤٣ ـ وقال عليه السلام :

«صوم الجسد الإمساك عن الأغذية بإرادة واختيار خوفاً من العقاب، ورغبة في الثواب والأجر، وصوم النفس إمساك الحواسّ الخمس عن سائر المآثم، وخلوّ القلب من جميع أسباب الشرّ».

وفي أدب الصوم :

٤٤ ـ تقول فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام :

«ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه ؟ !».

٤٥ ـ وعن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول لجابر بن عبد الله الأنصاري :

«يا جابر، هذا شهر رمضان، من صام نهاره وقام ورداً من ليله، وعفّ بطنه وفرجه وكفّ لسانه، خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر».

فقال جابر : يا رسول الله، ما أحسن هذا الحديث ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«يا جابر، وما أشدّ هذه الشروط».

٤٦ ـ وعنه صلى الله عليه وآله :

«يقول الله عزّ وجلّ : من لم تصم جوارحه عن محارمي فلا حاجة لي في أن يدع طعامه وشرابه من أجلي».

٤٧ ـ وعن الإمام زين العابدين عليه السلام، كان من دعائه إذا دخل شهر

رمضان :

«وأعنّا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك، واستعمالها فيه بما يرضيك، حتّى لا نصغي بأسماعنا إلى لغوٍ، ولا نسرع بأبصارنا إلى لهوٍ، وحتّى لا نبسط أيدينا إلى محظور، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور، وحتّى لا تعي بطوننا إلّا ما أحللت، ولا تنطق ألسنتنا إلّا بما مثّلت، ولا نتكلّف إلّا ما يدني من ثوابك، ولا نتعاطى إلّا الذي يقي من عقابك».

٤٨ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام، قال :

«إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك وبصرك في الحرام، وجارحتك وجميع أعضاؤك من القبيح، ودع عنك الهذي وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، والزم ما استطعت من الصمت والسكوت إلّا عن ذكر الله، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك، وإيّاك والمباشرة والقبل والقهقهة بالضحك، فإنّ الله مقت ذلك».

٤٩ ـ وفي الحديث النبوي :

«إنّما الصوم جُنّة من النار، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرىء قاتله أو شاتمه، فليقل : إنّي صائم، إنّي صائم».

قال المحقّق الفيض الكاشاني قدس سره : «ثمّ اجتهد أن تفطر على طعام حلال ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله دفعة أو دفعتين، وإنّما المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوّتك، لتقوى بذلك على التقوى، فإذا أكلت عشيّة ما تداركت به ما فاتك، فلا فائدة في صومك وقد ثقلت معدتك، وما من وعاء أبغض إلى الله تعالى من بطن مليء».

فإذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت، فإنّه أساس العبادات ومفتاح القربات، ففي الحديث الشريف :

٥٠ ـ «قال الله تعالى: كلّ حسنةٍ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلّا الصيام، فإنّه لي وأنا أجزي به»[١].

إذ الصائم لا يعلم أحد منه في الظاهر أنّه متعبّد لله إلّا الله عزّ وجلّ، فهو مجزيه خير الجزاء، هذا لو كان (أجزي به) بفتح الهمزة وكسر الزاي من باب المعلوم فاعله. أو يكون جزاؤه هو الله تعالى نفسه، أي لقاءه ورضوانه، إن كان بضمّ الهمزة وفتح الزاي من باب المجهول فاعله.

وأمّا ميراث الصوم وآثاره:

٥١ ـ في حديث المعراج:

«قال النبيّ: يا ربّ، وما ميراث الصوم؟ قال: الصوم يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسرٍ أم يسر».

فالصوم يميت مواد النفس وشهوة الطبع الحيواني، ويورث الحكمة والمعرفة واليقين، وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن، والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء وزيادة التضرّع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء إلى الله، وسبب انكسار الهمّة وتخفيف السيّئات وتضعيف الحسنات،

(١) لقد ذكر الفاضل المقداد في كتابه (نضد القواعد الفقهية على مذهب الإمامية) قاعدة يقول فيها: كلّ الأعمال الصالحة لله، فلم جاء في الخبر (كلّ عمل ابن آدم له إلّا الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به)، مع قوله ﷺ: (أفضل أعمالكم الصلاة)، فأجاب بوجوه وناقشها، فعليكم بالمراجعة، وإنّما لم نطرق أبواب مثل هذه المباحث طلباً للاختصار.

وفيه من الفوائد ما لا يحصى، وكفى ما ذكرناه لمن عقل ووُفّق لاستعماله، وألقى السمع وهو شهيد.

ولا يخفى أنّ الواجب من الصوم هو صيام شهر رمضان المبارك لمن كان من المكلّفين من الرجال والنساء، إلّا أنّه يستحبّ الصيام تطوّعاً في الأيام الأُخرى، لا سيّما الأيام الخاصّة من أيام الله، كيوم الثامن عشر من ذي الحجّة (يوم الغدير)، و (يوم المبعث) وغيرهما.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ، قال:

٥٢ ـ «من صام يوماً تطوّعاً فلو أُعطي ملء الأرض ذهباً، ما وُفّي اجره دون يوم الحساب».

٥٣ ـ وعنه ﷺ:

«من صام يوماً تطوّعاً ابتغاء ثواب الله وجبت له المغفرة».

٥٤ ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى أتمّ صلاة الفريضة بصلاة النافلة، وأتمّ صيام الفريضة بصيام النافلة».

٥٥ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«إيّاكم والكسل، إنّ ربّكم رحيم يشكر القليل، إنّ الرجل ليصوم اليوم تطوّعاً يريد به وجه الله تعالى فيدخله الله به الجنّة».

٥٦ ـ وعن رسول الله ﷺ:

«من صام ثلاثة أيام من كلّ شهر، كان كمن صام الدهر، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾[١]».

(١) الأنعام: ١٦٠.

٥٧ ـ وعنه صلى الله عليه وآله :

«صوم ثلاثة أيام في كلّ شهر، ورمضان إلى رمضان، صوم الدهر وإفطاره».

٥٨ ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«من سرّه أن يذهب كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كلّ شهر».

٥٩ ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«صوم ثلاثة أيام من كلّ شهر، أربعاء بين خميسين، وصوم شعبان، يذهب بوساوس الصدر وبلابل القلب».

٦٠ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام :

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل ما بُعث يصوم حتّى يقال : ما يفطر، ويفطر حتّى يقال : ما يصوم، ثمّ ترك ذلك وصام يوماً وأفطر يوماً، وهو صوم داود، ثمّ ترك ذلك وفرّقها في كلّ عشرة أيام يوماً خميسين بينهما أربعاء، فقبض، عليه وآله السلام، وهو يعمل ذلك».

أيّها المسلم العزيز، لك في رسول الله أُسوة حسنة وقدوة صالحة ...

فهل عملت بسنّته المباركة في صيامه، ولو لعام واحد ؟...

افعل ذلك ولو لسنة واحدة، فإنّك ترى بركاته وآثاره المادّية والمعنوية والروحانية الخاصّة، فلا تتركه طيلة حياتك... والله المستعان.

الفرع الثالث

الزكاة

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[١].

وقال سبحانه :

﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾[٢].

وقال عزّ وجلّ :

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ ﴾[٣].

وقال جلّ وعلا :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

---

(١) الحجّ : ٧٨.

(٢) فصّلت : ٦ ـ ٧.

(٣) التوبة : ٥.

وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[١].

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾[٢].

لا يخفى على أُولي النهى، أنّ تفاوت العباد في الغنى والفقر إنّما هو لحكمة ربانية، ومن الأسرار الإلهية في خليقته، فإنّ الله سبحانه أودع الفقر والغنى بين الناس لتيسير أُمورهم وتمشية مصالحهم وتحريك دولاب المجتمع في الاقتصاد، وإنّما جعل الفقر والغنى ليبلو العباد أيّهم أحسن عملاً وأطهر صنعاً.

فقد فرض عزّ وجلّ للفقير سهماً في مال الغني كافياً له، كما وعد الغنيّ الأجر الجزيل على إعطائه، وأوعده العذاب الأليم على منعه وحرمانه، فجعل الفقراء عياله والأغنياء وكلاءه.

والزكاة في الدين الإسلامي الحنيف من الواجبات، إنّما وضعها الله سبحانه وشرّعها من أجل إقامة العدالة الاجتماعية، وليقوم الناس بالقسط، وتسودهم الرفاهية والسعادة الدنيوية، فيعمّ المجتمع الأمن والاطمئنان في مدينة فاضلة.

والزكاة لغةً بمعنى النماء، وفي المصطلح الشرعي: أخذ حصّة من المال، وإنّما سمّي بالزكاة ليعني نموّ المال ورشده وزيادته وحفظه بدلاً من أن تنقصه، فالزكاة من زكى الزرع إذا نمى، فإنّ إخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم والسخاء، أو من الزكاة بمعنى الطهارة، فإنّها تطهّر المال من الخبث والنفس من البخل.

---

(١) التوبة: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) التوبة: ١٠٣.

والويل لمانع الزكاة، فإنّه قد ينفق أكثر من الزكاة في إثم ومعصية خالقه ورازقه، وقد يتسلّط عليه الظالمون، كما قد يتعرّض للسرقة والنهب، والتاريخ يشهد على ذلك.

ويكفيك في أهمية الزكاة وعظمتها، أنّها اقترنت بالصلاة في الآيات الكريمة والروايات الشريفة، قال الله تعالى:

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾[١].

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[٢].

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾[٣].

ونقف على عظمة الزكاة وأثرها البالغ في المجتمع من خلال مجال صرفها وإلى من تصل ومن يستحقّها، وذلك في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٤].

١ ـ وعن مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام، في حديث، قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم، ولو علم أنّ ذلك

---

(١) مريم: ٥٥.

(٢) النمل: ٣.

(٣) البيّنة: ٥.

(٤) التوبة: ٦٠.

لا يسعهم لزادهم، إنّهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله عزّ وجلّ، ولكن أُوتوا من منع من منعهم حقّهم لأنّما فرض الله لهم، ولو أنّ الناس أدّوا حقوقهم لكانوا عايشين بخير»[١].

٢ ـ وعنه أيضاً عليه السلام، قال:

«إنّما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونةً للفقراء، ولو أنّ النـاس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً، ولاستغنى بما فرض الله له، وإنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلّا بذنوب الأغنياء، وحقيق على الله تبارك وتعالى أن يمنع رحمته ممّن منع حقّ الله في ماله، وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق، أنّه ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلّا بترك الزكاة»[٢].

٣ ـ وعن معمر بن يحيى، أنّه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول:

«لا يسأل الله عبداً عن صلاة بعد الفريضة، ولا عن صدقة بعد الزكاة».

٤ ـ وفي حديث نبوي، قال صلى الله عليه وآله:

«داووا مرضاكم بالصدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة».

٥ ـ وقال:

«ملعون ملعون مالٌ لا يزكّى».

٦ ـ وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام:

«وإذا حبست الزكاة ماتت المواشي».

٧ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام:

«إنّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها، إنّما هو شيء ظاهر، إنّما حقن الله بها

(١) وسائل الشيعة ٤: ٣، الباب ١، الحديث ٢.

(٢) وسائل الشيعة ٤: ٤.

دمه وسمّي بها مسلماً».

٨ ـ وعنه عليه السلام:

«من منع الزكاة فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»[١].

٩ ـ وقال مولانا الرضا عليه السلام:

«إنّ الله أمر بثلاثة مقرونة بها ثلاثة: أمر بالصلاة والزكاة، فمن صلّى ولم يزكِّ لم تقبل صلاته»[٢].

فالزكاة تحفظ المال وتصونه من الضياع والتلف، وكأنّها (شركة التأمين) ومتعهّدها هو الله سبحانه وتعالى، كما تسعد المجتمع الإسلامي ولا يبقى فيه فقير، ويعيش الكلّ فيه بخير ورفاعية واطمئنان وفراغة البال، فتظهر حينئذٍ الاستعدادات والطاقات والنبوغ الكامن في النفوس، فيرتقي المجتمع ويتكامل في جميع حقوله وجوانبه، وتنشدها الجوامع الأُخرى لتقتدي به، فيضرب به المثل، كما كان في صدر الإسلام.

كما يطهر المال بالزكاة وإن كان حلالاً بكدّ اليمين وعرق الجبين، إذ الإنسان في أيّ عمل من أعماله من التجارة والصناعة والزراعة وغير ذلك، يحتاج إلى أبناء نوعه، ولولاهم لاختلّ نظامه وحياته، فيرى بوضوح أنّ مجتمعه الإنساني قد ساهم في مصنوعاته ومحصولاته ومنتوجاته، وحينئذٍ يحسّ الإنسان بضميره الحيّ، وأحاسيسه الواعية وعواطفه المرهفة، إنّه مقصّر أمام مجتمعه وبني نوعه، فلا بدّ أن يطهر نفسه وماله بردّ الإحسان إحساناً والجميل

(١) وسائل الشيعة ٤: ٦ ـ ١٤ ـ ١٧.

(٢) الخصال ١: ٧٠.

جميلاً، فيجد الزكاة والصادقات تلبية لنداء الباطن بإعطاء قسم وحصّة من ماله ـ قد حدّه وعيّنه الشرع المبين ـ إلى مجتمعه، إلى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، وفي سبيل الله: من بناء المساجد والمدارس والدور للفقراء والجسور والحسينيات والمستشفيات وغير ذلك من موارد مصاريف الزكاة.

فالمسلمون المؤمنون ما أن وقفوا على وجوب الزكاة وشاهدوا آثارها الجبّارة النافعة في المجتمع، إلّا وتصدّقوا وأنفقوا ممّا رزقهم الله وأدّوا الحقوق لأهليها، فيقرضون ويسعفون الحاجات ويأخذون بأيدي الضعفاء وينجونهم من المهالك.

١٠ ـ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أدّى الزكاة إلى مستحقّها وأقام الصلاة على حدودها ولم يلحق بهما من الموبقات ما يبطلهما جاء يوم القيامة يغبطه كلّ من في تلك العرصات حتّى يرفعه نسيم الجنّة إلى غرفها وعاليها بحضرة من كان يواليه من محمّد وآله الطيّبين»[1].

١١ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«آتوا الزكاة من أموالكم المستحقّين لها من الضعفاء، لا تبخسوهم ولا توكسوهم ولا تيمّموا الخبيث أن تعطوهم، فإنّ من أعطى زكاته طيّبةً بها نفسه أعطاه الله بكلّ حبّةٍ منها قصراً من فضّة وقصراً من لؤلؤ وقصراً من زبرجد وقصراً من زمرّد وقصراً من نور ربّ العالمين، وإن قصّر في الزكاة قال الله تعالى: يا عبدي، أتبخلني أم تتّهمني أم تظنّ أنّي عاجز غير قادر على إثابتك؟ سوف

(١) بحار الأنوار ٩٦: ٨.

يرد عليك يوم تكون أحوج المحتاجين إليها، إن أدّيتها كما أُمرت، وسوف يرد عليك إن بخلت يوم تكون فيه أخسر الخاسرين، قال: فسمع ذلك المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)».

١٢ ـ وقال الصادق عليه السلام:

«من منع قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا مسلم، ولا كرامة».

١٣ ـ وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يدفع بالصدقة الدبيلة والغرق والحرق والهدم والجنون، حتّى عدّ صلى الله عليه وآله سبعين نوعاً من البلاء».

١٤ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام، قال:

«ما من ذي مال ذهب أو فضّة يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله عزّ وجلّ يوم القيامة بقاع قرقر، وسلّط عليه شجاعاً (أي ثعباناً) أقرع يريده وهو يحيد عنه، فإذا رأى أنّه لا يتخلّص منه أمكنه من يده فيقضمها كما يقضم الفحل، ثمّ يصير طوقاً في عنقه وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾[1]، وما من ذي مال إبل أو بقر أو غنم يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله عزّ وجلّ يوم القيامة بقاع قرقر، تطؤه كلّ ذات ظلف بظلفها وتنهشه كلّ ذات ناب بنابها، وما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها، إلّا طوّقه الله ربعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة».

وهناك روايات أُخرى مذكورة في جوامع الحديث في فضل معطي الزكاة وثوابه وبيان عقاب مانع الزكاة.

(١) آل عمران: ١٨٠.

وإنّما تجب الزكاة في النقدين والأنعام الثلاثة والغلّات الأربع، بشرائط خاصّة كما هي مذكورة في الكتب الفقهية، وهو بالنسبة إلى الزكاة في الأموال وهو بالمعنى الأخصّ، وفي روايتنا وكتب الأخلاق تذكر الزكاة بالمعنى الأعمّ.

وإليك هذه الرواية الشريفة عن مولانا الصادق عليه السلام، كما في مصباح الشريعة:

١٥ ـ قال عليه السلام:

«على كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجلّ، بل على كلّ شعرة، بل على كلّ لحظة، فزكاة العين: النظر بالعبرة، والغضّ عن الشهوات وما يضاهيها، وزكاة الأُذن: استماع العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الحكمة والموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض عمّا هو ضدّه من الكذب والغيبة وأشباهها، وزكاة اللسان: النصح للمسلمين والتيقّظ للغافلين، وكثرة التسبيح والذكر وغيره، وزكاة اليد: البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به وتحريكها بكنبة العلوم، ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى والقبض عن الشرور، وزكاة الرجل: السعي في حقوق الله تعالى من زيارة الصالحين، ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك.

هذا ممّا يحتمل القلوب فهمه، والنفوس استعماله، وما لا يشرف عليه إلّا عباده المقرّبون المخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم»[1].

وإنّما يعلم عظمة الزكاة من خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفة، كلّ

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٧.

من كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد.

فعلى القارئ الكريم أن يمعن النظر فيها، ويدقّق في كلّ حكم إسلامي، ويرجع البصر ويقرأ كرّةً أُخرى، ليستخرج منه حقائق ناصعة ومطالب جامعة، تنفعه وتنفع مجتمعه الإسلامي، فيعيشوا برغد وسعادة، وهناء وإيمان، ويعلو الإسلام ولا يُعلى عليه.

١٦ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الزكاة قنطرة الإسلام، فمن أدّاها جاز القنطرة، ومن منعها احتبس دونها، وهي تطفئ غضب الربّ».

١٧ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ما فرض الله على هذه الأُمّة شيئاً أشدّ عليهم من الزكاة، وما تهلك عامّتهم إلّا فيها».

وفي حكمة الزكاة وعلّة وجوبها:

١٨ ـ ورد عن الإمام الرضا عليه السلام:

«علّة الزكاة من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء، لأنّ الله تعالى كلّف أهل الصحّة القيام بشأن أهل الزمانة من البلوى، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾[1] في أموال إخراج الزكاة وفي أنفسكم توطين النفس على الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نِعَم الله عزّ وجلّ، والطمع في الزيادة، مع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف، والعطف على أهل المسكنة،

(١) آل عمران: ١٨٦.

والحثّ لهم على المساواة، وتقوية الفقراء، والمعونة لهم على أمر الدين، وهي عظة لأهلى الغنى وعبرة لهم ليستدلّوا على فقر الآخرة بهم».

١٩ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ الله عزّ وجلّ فرض للفقراء في أموال الأغنياء ممّا يكتفون به ولو علم الله أنّ الذي فرض لهم لم يكفهم لزادهم، فإنّما يؤتى الفقراء فيما أُوتوا من منع من منعهم حقوقهم لا من الفريضة».

٢٠ ـ وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال:

«إنّ الله فرض على أغنياء الناس في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، فإن ضاع فقير أو أُجهد أو عُري، فيما يمنع الغني، وإنّ الله عزّ وجلّ محاسب الأغنياء في ذلك يوم القيامة ومعذّبهم عذاباً أليماً».

٢١ ـ وقال الإمام الكاظم عليه السلام:

«إنّما وضعت الزكاة قوتاً للفقراء، وتوفيراً لأموال الأغنياء».

٢٢ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام:

«الزكاة تزيد في الرزق».

٢٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا أردت أن يثري الله مالك فزكّه».

٢٤ ـ قال الإمام الحسن عليه السلام:

«ما نقصت زكاة من مالٍ قطّ».

٢٥ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«يا مفضّل، قل لأصحابك يضعون الزكاة في أهلها، وإنّي ضامن لما ذهب لهم».

٢٦ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ ﴾[1]: وإنّ الله يعطي بالواحدة عشرة إلى مائة ألف فما زاد، ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ ﴾[2]: لا يريد شيئاً من الخير إلّا يسّره الله له.

٢٧ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلّا بتضييع الزكاة، فحصّنوا أموالكم بالزكاة».

٢٨ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ما نقصت زكاة من مال قطّ، ولا هلك مال في برّ أو بحر أُدّيت زكاته».

٢٩ ـ عنه عليه السلام:

«وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلّها».

٣٠ ـ قال الإمام الرضا عليه السلام:

«إذا حُبست الزكاة ماتت المواشي».

٣١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«حصّنوا أموالكم بالزكاة».

٣٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام القائم عليه السلام أخذ مانع الزكاة فضرب عنقه».

٣٣ ـ وعنه عليه السلام:

«من منع الزكاة سأل الرجعة عند الموت وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ حَتَّى إِذَا

---

(١) الليل: ٥ ـ ٦.

(٢) الليل: ٧.

جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[1]».

٣٤ ـ وقال عليه السلام:

«السرّاق ثلاثة: مانع الزكاة، ومستحلّ مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينوِ قضاءه».

٣٥ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«والذي نفس محمّدٍ بيده ما خان الله أحد شيئاً من زكاة ماله إلّا مشرك بالله».

٣٦ ـ وعنه صلى الله عليه وآله:

«يا عليّ، كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة... ومانع الزكاة».

٣٧ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«من منع قيراطاً من زكاة ماله فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة».

٣٨ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً».

٣٩ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مانع الزكاة يجرّ قصبه في النار ـ يعني أمعاءه في النار ـ ومُثّل له ماله في النار في صورة شجاع ـ ثعبان ـ أقرع له زبيبان أو زبيبتان يفرّ الإنسان منه، وهو يتبعه حتّى يقضمه كما يقضم الفجل ويقول: أنا مالك الذي بخلت به».

٤٠ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام، قال:

«الذي يمنع الزكاة يحوّل الله ماله يوم القيامة شجاعاً من نار له ريمتان

(١) المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

فيطوّقه إيّاه ثمّ يقول: الزمه كما لزمك في الدنيا، وهو قول الله: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ ﴾[1]».

٤١ ـ وقال عليه السلام:

«إنّ الله عزّ وجلّ يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة، معهم ملائكة يعيّرونهم تعييراً شديداً، يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خيرٍ كثير، هؤلاء الذين أعطاهم الله عزّ وجلّ فمنعوا حقّ الله عزّ وجلّ في أموالهم».

٤٢ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام، فمن أعطاها طيّب النفس بها، فإنّها تجعل له كفّارة، ومن النار حجازاً (حجاباً) ووقاية، فلا يتبعنّها أحد نفسه، ولا يكثرنّ عليها لهفه، فإنّ من أعطاها غير طيّب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسنّة، مغبون الأجر، ضالّ العمل، طويل الندم».

ثمّ الزكاة إمّا ظاهرة وإمّا باطنة:

٤٣ ـ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام لمّا سأله رجل في كم تجب الزكاة من المال؟ قال عليه السلام: «الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟» قال: أُريدهما جميعاً، فقال: «أمّا الظاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون درهماً، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليك منه».

ثمّ لكلّ شيء زكاة.

(١) آل عمران: ١٨٠.

٤٤ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«زكاة القدرة الإنصاف».

«زكاة الجمال العفاف».

«زكاة الظفر الإحسان».

«العفو زكاة الظفر».

«زكاة اليسار برّ الجيران وصلة الأرحام».

«زكاة الصحّة السعي في طاعة الله».

«زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله».

«زكاة النعم اصطناع المعروف».

«زكاة العلم بذله لمستحقّه وإجهاد النفس في العمل به».

«زكاة العقل احتمال الجهّال».

«إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيمانكم».

«زكاة البدن الصوم والجهاد».

٤٥ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

«المعروف زكاة النعم، والشفاعة زكاة الجاه، والعلل زكاة الأبدان، والعفو زكاة الظفر، وما أدّيت زكاته فهو مأمون السلب».

٤٦ ـ وقال عليه السلام :

«على كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجلّ، بل على كلّ شعرة، بل على كلّ لحظة، فزكاة العين النظر بالعبرة والغضّ عن الشهوات وما يضاهيها، وزكاة الأُذن استماع العلم والحكمة والقرآن».

فهل أدّيت الزكاة بأقسامها ومعانيها ؟

الفرع الرابع

الخمس

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ ﴾[1].

الخمس من الفرائض الإسلامية والواجبات الدينية على كلّ مسلم ومؤمن، وقد جعلها الله تعالى لنبيّه الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله ولذرّيته البررة عوضاً عن الزكاة وذلك إكراماً لهم، فإنّه ألف عينٍ لأجل عين تكرم، ومن منع منه درهماً أو أقلّ كان مندرجاً في الظالمين لهم والغاصبين لحقوقهم، بل من كان مستحلاً بذلك كان من الكافرين وأنكر ضرورياً من ضروريات الدين، وأصبح من المرتدّين، وعليه لعنة الله إلى يوم الدين.

١ ـ في الخبر الشريف عن أبي بصير، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : ما أيسر ما يدخل به العبد النار ؟ قال عليه السلام : من أكل مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم[2].

---

(١) الأنفال : ٤١.

(٢) وسائل الشيعة ٦ : ٣٣٧، وكذلك الروايات الأُخرى.

قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كتابه الشريف إكمال الدين : معنى اليتيم هو المنقطع القرين في هذا الموضع، فسمّي النبيّ صلى الله عليه وآله بهذا المعنى يتيماً، وكذلك كلّ إمام بعده يتيم بهذا المعنى، والآية في أكل أموال اليتامى ظلماً فيهم نزلت، وجرت من بعد في سائر الأنام، والدرّة اليتيمة إنّما سمّيت يتيمة، لأنّها كانت منقطعة القرين والنظير.

٢ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام، قال :

«إنّ الله لا إله إلّا هو، حيث حرّم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس، فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة، والكرامة لنا حلال».

٣ ـ وعن أبي جعفر عليه السلام :

«لا يحلّ لأحد أن يشري من الخمس شيئاً حتّى يصل إلينا حقّنا».

٤ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام :

«لا يعذر عبد اشترى من الخمس شيئاً أن يقول يا ربّ اشتريته بمالي حتّى يأذن له أهل الخمس».

٥ ـ وعنه عليه السلام قال :

«إنّي لآخذ من أحدكم الدرهم وإنّي لمن أكثر أهل المدينة مالاً، ما أُريد بذلك، إلّا أن تطهروا».

فمن فلسفة الخمس الطهارة كما كان في الزكاة، ومن فلسفته السعة على فقراء ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦ ـ وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، قال عندما قرئت عليه آية الخمس :

«ما كان لله فهو لرسوله، وما كان لرسوله فهو لنا».

ثمّ قال :

«والله لقد يسّر الله على المؤمنين أرزاقهم بخمسة دراهم، جعلوا لربّهم واحداً، وأكلوا أربعة أحلّاء».

ثمّ قال :

«هذا من حديثنا صعب مستصعب، لا يعمل به ولا يصبر عليه إلّا ممتحن قلبه للإيمان».

٧ ـ وفي الحديث المستفيض عن الأئمة عليهم السلام :

«إنّ حديثنا ـ في رواية : أمرنا ـ صعب مستصعب، لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان».

والمقصود من الحديث (وأمرهم) هو الولاية، فلمّا عرضت على الملائكة لم يتحمّلها ولم يقبلها حقّ القبول إلّا ملك مقرّب، ولمّا عرضت على الأنبياء لم يطق حمل ثقلها إلّا المرسل، ولمّا عرضت على العباد لم يتحمّلها إلّا مؤمن امتحن الله قلبه في مواطن بالإيمان.

ويبدو لي أنّ إعطاء الخمس من مظاهر هذا الامتحان الإلهي، فمن أعطى الخمس بطيب نفسه وابتهاج وسرور، فإنّ ذلك من علامات الإيمان، ولا يصبر عليه إلّا ممتحن قلبه للإيمان، ومن لم يعطِ خمسه من ماله كيف يعطي نفسه عند ظهور إمام زمانه ؟ !

٨ ـ وعن مولانا الكاظم عليه السلام، قال :

«قال لي هارون : أتقولون إنّ الخمس لكم ؟

قلت : نعم.

قال : إنّه لكثير .

قال : قلت : إنّ الذي أعطاناه علم أنّه لنا غير كثير »[١] .

فمن أمثال هارون الرشيد الطاغية يصعب عليه الخمس ، ويراه كثيراً ، فكيف بمن ينكر ويمنع أصل ذلك ؟

هذا ولا يخفى أنّما وجب الخمس في زمن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله في الغنائم الحربية ، ثمّ بين موالينا الأطهار أئمة الحقّ عليهم السلام من زمن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام باقي الموارد التي يجب فيها الخمس ، كما في الرسائل العملية والكتب الفقهية ، وإنّما التأخير في بيان الموارد والغنائم الأُخرى غير الحربية لحكمة ربانية .

وإنّما الخمس كما في الآية الشريفة للأصناف الستّة : لله ، وللرسول صلى الله عليه وآله ، ولذوي القربى الأئمة الأطهار عليهم السلام ، وماكان لله فهو لرسوله ، وماكان للرسول فهو للإمام المعصوم عليه السلام ، وقد تعارف بين المتشرّعة وجود سهم في زمن الغيبة الكبرى باسم سهم الإمام يصرف في ترويج الدين الإسلامي ، بإذن من مرجع التقليد الجامع للشرائط أو وكيله ، وأمّا النصف الثاني من الخمس فإنّه يعطى للأصناف الثلاثة الأُخرى المذكورين في الآية الشريفة من الهاشميين بدلاً من الزكاة ، لأنّها من غيرهم تحرم عليهم ، ويسمّى هذا القسم بسهم السادة .

فالخمس من الفرائض المؤكّدة المنصوص عليها في القرآن الكريم ، وقد ورد الاهتمام الكبير بشأنه في كثير من الروايات المأثورة عن أهل البيت سلام الله

(١) بحار الأنوار ٩٣ : ١٨٨ .

عليهم ، وفي بعضها اللعن والويل والثبور على من يمتنع من أدائه وعلى من يأكله بغير استحقاق .

٩ ـ فمن كتاب لإمامنا الحجّة الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام وعجّل الله فرجه الشريف قال :

« ومن أكل من مالنا شيئاً فإنّما يأكل في بطنه ناراً » .

١٠ ـ وقال عليه السلام في كتاب آخر :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على كلّ من أكل من مالنا درهماً حراماً » .

١١ ـ وقال عليه السلام :

« وأمّا المتلبّسون بأموالنا ، فمن استحلّ منها شيئاً فأكله ، فإنّما يأكل النيران »[١] .

فيا ترى ، فهل يعيش برغد وسعادة من يمنع الخمس ؟ وأنّي يكون ذلك وقطب عالم الإمكان صاحب العصر والزمان عليه السلام يدعو عليه ؟ وطوبى لمن أدّى خمسه وشمله دعاء مولاه ، فكيف لا يسعد ولا يوفّق في حياته ، ولا يعيش بهناء في الدنيا ، وجنّات عرضها السماوات والأرض في الآخرة .

ويا هذا ، ممّن المال ؟ أليس من الله سبحانه ؟ فلماذا يبخل الإنسان ؟ وإن قيل : إنّما هو بكدّي وعرق جبيني ، فنقول : وممّن الحول والقوّة ؟ وممّن الصحّة والعافية ؟ وممّن التوفيق ؟ فلماذا لا نطيع ربّ العالمين ؟ ولماذا البخل ؟ وما قيمة

(١) الروايات الثلاثة وأمثالها توجد في وسائل الشيعة ٦ : ٣٨٣ .

المال بلغ ما بلغ ؟ فكيف لو كان ذلك موجباً لدعاء صاحب الأمر عليه السلام عليه، ولعن مانع الخمس فيما لو لم يؤدّ حقوقه الشرعيّة ؟ وفي المال حقّ للسائل والمحروم، وما ثمن المال لو كان عاقبته النيران والويل ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله.

فلا تحزن على ما فات، ولا تفرح بما هو آت، واغتنم الساعة التي أنت فيها، وتب إلى ربّك، واقضِ ما فات، وأدِّ حقوق الله التي عليك، وطِب نفساً، واحذر كلّ الحذر من أهوال يوم القيامة ومن النار.

وقد جاء في تفسير القمّي في الآية الشريفة عندما يسأل أهل النار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾[1] ؟ فمن أجوبتهم يقولون: ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾[2]، قال: حقوق آل محمّد صلى الله عليه وآله من الخمس لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وهم آل محمّد صلوات الله عليهم.

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[3]، أي لا ترعون، وهم الذين غصبوا آل محمّد حقّهم وأكلوا أموال أيتامهم وفقرائهم وأبناء سبيلهم ـ وهذا من التأويل إن لم يكن من التفسير، فتدبّر وأمعن النظر ـ فلا يقلّ الخمس عن الزكاة في القدر، ولا في الحكمة والأثر، ومن أنكر ففي سقر،

(١) المدّثّر: ٤٢.

(٢) المدّثّر: ٤٤.

(٣) الفجر: ١٨.

وبئس المستقرّ.

وأمّا كيفية استخراج الخمس، فإنّه مذكور بالتفصيل في الرسائل العملية لمراجعنا الكرام، فمن لم يستخرج خمسه من قبل ـ أي من سنّ البلوغ، إذ يجب الخمس من سنّ البلوغ كما تجب الصلاة ـ إلى يوم إعطاء الخمس، فإنّه يقيّم جميع ما يملك، ثمّ يتصالح مع المجتهد أو وكيله، ثمّ بعد أن يقرّر لنفسه تاريخاً لخمسه في كلّ عام في ذلك التاريخ يستخرج خمس أمواله الزائدة عن المؤونة مطلقاً، سواءً كانت نقدية أو غيرها، منقولة أو غيرها. ولا بأس بالمراجعة إلى علماء بلدتك من تثق بهم للمحاسبة واستخراج الخمس.

ولا بأس أن نذكر ما قاله العلّامة الطباطبائي المفسّر الكبير قدس سره في كتابه الشريف (الميزان في تفسير القرآن)[1] في آية الخمس، فقال: قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾[2] إلى آخر الآية، الغنم والغنيمة: إصابة الفائدة من جهة تجارة أو عمل أو حرب، وينطبق بحسب موارد نزول الآية على غنيمة الحرب، قال الراغب: الغَنَم ـ بفتحتين ـ معروف، قال ومن البقر والغنم ما حرّمنا عليهم شحومهما، والغُنْم ـ بالضمّ فالسكون ـ إصابته، والظفر به، ثمّ استعمل في كلّ مظفور به من جهة العدى وغيرهم، قال: واعلموا أنّما غنمتم من شيء، فكلوا ممّا غنمتم وجمعه مغانم، قال: فعند الله مغانم كثيرة، انتهى.

(١) الميزان ٩: ٨٩.

(٢) الأنفال: ٤١.

١٢ ـ... ثمّ قال في البحث الروائي : في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن الحسين بن عثمان عن سماعة قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس فقال : في كلّ ما أفاد الناس من قليل أو كثير.

١٣ ـ وفيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قال : الخمس في خمسة أشياء من الغنائم والغوص ومن المعادن والملاحة يؤخذ من كلّ هذه الصنوف الخمس لمن جعل الله له، ويقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه وولى ذلك.

ويقسم بينهم الخمس على ستّة أسهم، سهم لله، وسهم لرسوله، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل. فسهم الله وسهم رسوله لأُولي الأمر من بعد رسول الله وراثة، فله ثلاثة أسهم : سهمان وراثة، وسهم مقسوم له من الله، فله نصف الخمس كلاً، ونصف الخمس الثاني بين أهل بيته : فسهم ليتاماهم، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم، يقسم بينهم على الكتاب والسنّة ما يستغنون به في سنتهم، فإن فضل منهم شيء فهو للوالي، وإن عجزوا، ونقص عن استغنائهم، كان على الوالي أن ينفق من عنده ما يستغنون به، وإنّما جعل الله هذا الخمس خاصّة لهم دون مساكين الناس وأبناء سبيلهم، عوضاً لهم عن صدقات الناس تنزيهاً من الله لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وكرامةً من الله لهم من أوساخ الناس، فجعل لهم خاصّة من عنده وما يغنيهم به، أن يصيّرهم في موضع الذلّ والمسكنة، ولا بأس بصدقة بعضهم على بعض.

وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبيّ صلى الله عليه وآله الذين ذكرهم الله

فقال : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[1]، وهم بنو عبد المطّلب أنفسهم، الذكر منهم والأُنثى ليس فيهم من أهل بيوتات قريش ولا من العرب أحد ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليهم، وقد تحلّ صدقات الناس لمواليهم، وهم والناس سواء.

ثمّ قال قدس سره : والأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام متواترة في اختصاص الخمس بالله ورسوله والإمام من أهل بيته ويتامى قرابته ومساكينهم وأبناء سبيلهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم، وإنّه يقسم ستّة أسهم على ما مرّ في الروايات، وإنّه لا يختصّ بغنائم الحرب بل يعمّ كلّ ما كان يسمّى غنيمة لغةً من أرباح المكاسب والكنوز والغوص والمعادن والملاحة، وفي رواياتهم ـ كما تقدّم ـ إنّ ذلك موهبة من الله لأهل البيت بما حرّم عليهم الزكوات والصدقات.

هذا ونحن نأخذ ديننا من أهل بيت النبوّة، ففي أبياتهم نزل الخطاب، وهم أهل بيت الوحي، فنقول بالخمس في كلّ ما يطلق ويصدق عليه اسم الغنيمة لغةً، وإن كان عند أبناء العامّة يختصّ الخمس بغنائم الحرب، على خلاف ما عليه الروايات من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام.

كما وإنّ ظاهر الآية الشريفة أنّها مشتملة على تشريع مؤبّد كما هو ظاهر التشريعات القرآنية، وإنّ الحكم متعلّق بما يسمّى غنماً وغنيمة حربية مأخوذة من الكفّار أو غيرها، ممّا يطلق عليه الغنيمة لغةً كأرباح المكاسب والغوص والملاحة والمستخرج من الكنوز والمعادن، وإن كان مورد نزول الآية هو غنيمة الحرب،

---

(١) الشعراء : ٢١٤.

فليس للمورد أن يخصّص.

وكذا ظاهر ما عدّ من موارد الصرف بقوله: ﴿ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[١] انحصار الموارد في هؤلاء الأصناف، وأنّ لكلّ منهم سهماً بمعنى استقلاله في أخذ السهم كما يستفاد مثله من آية الزكاة من غير أن يكون ذكر الأصناف من قبيل التمثيل.

فهذا كلّه ممّا لا ريب فيه بالنظر إلى المتبادر من ظاهر معنى الآية، وعليه وردت الأخبار من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام[٢].

بقي الكلام فيما تضمّنته الروايات، فإنّ الله سبحانه أراد بتشريع الخمس إكرام أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وأُسرته، وترفيعهم من أن يأخذوا أوساخ الناس في أموالهم، والظاهر أنّ ذلك مأخوذ من قوله تعالى في آية الزكاة خطاباً لنبيّه صلّى الله عليه:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[٣].

فإنّ التطهير والتزكية إنّما يتعلّق بما لا يخلو من دنس ووسخ ونحوهما، ولم يقع في آية الخمس ما يشعر بذلك.

وما يتعلّق بالآية من محصّل البحث التفسيري هو الذي قدّمناه، وهناك

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) تفسير الميزان ٩: ٩١.

(٣) التوبة: ١٠٣.

أبحاث أُخر كلامية أو فقهية خارجة عن غرضنا، وهناك بحث حقوقي اجتماعي في ما يؤثّره الخمس من الأثر في المجتمع الإسلامي سيوافيك في ضمن الكلام على الزكاة[١].

والواقع أنّ الخمس يعدّ من أطهر أموال الشخص المخمّس، لأنّه قُرن بالله سبحانه ﴿ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[٢]، وما ينسب إلى الله يكون شريفاً وعظيماً وطاهراً مطهّراً كبيت الله وكتابه وحرمه ومساجده وغير ذلك، فتدبّر.

إكرام السادة الأجلّاء[٣]:

هذا، وعلينا أن نعظم السادة الكرام آل محمّد صلى الله عليه وآله وذراريه، فقد وردت الروايات الكثيرة في مدح الذرّية الطيّبة وثواب صلتهم[٤]، فقد عقد العلّامة المجلسي باباً في بيان ذلك، أذكر بعض الروايات، ومن أراد التفصيل فعليه بالمراجعة.

١٤ ـ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

«إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة فيضجّون إلى ربّهم ويقولون: يا ربّ، اكشف عنّا هذه الظلمة.

(١) المصدر نفسه: ١٠٦.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) لقد تعرّضت إلى هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب (المأمول في تكريم ذرّية الرسول)، وهو مطبوع، فراجع.

(٤) راجع بحار الأنوار ٩٣: ٢١٧.

قال : فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع : هؤلاء أنبياء الله، فيجيئهم النداء من عند الله : ما هؤلاء بأنبياء، فيقول أهل الجمع : فهؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عند الله : ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع : هؤلاء شهداء، فيجيئهم النداء من عند الله : ما هؤلاء بشهداء، فيقولون : مَن هم ؟ فيجيئهم النداء : يا أهل الجمع، سلوهم من أنتم ؟ فيقول أهل الجمع : من أنتم ؟ فيقولون : نحن العلويون، نحن ذرّية محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، نحن أولاد عليّ وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنّون، فيجيئهم النداء من عند الله عزّ وجلّ : اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم، فيشفعون فيشفّعون».

١٥ ـ وعن الرضا عليه السلام، قال :

«النظر إلى ذرّيتنا عبادة».

فقيل له : يا ابن رسول الله، النظر إلى الأئمة منكم عبادة ؟ أم النظر إلى جميع ذرّية النبيّ صلى الله عليه وآله ؟

فقال : «بل النظر إلى جميع ذرّية النبيّ صلى الله عليه وآله عبادة».

١٦ ـ وروى في عيون الأخبار مثله[1]، وزاد في آخره :

«ما لم يفارقوا منهاجه، ولم يتلوّثوا بالمعاصي».

١٧ ـ وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ عليه السلام، قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذرّيتي من

(١) عيون الأخبار ٢ : ٥١.

بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أُمورهم عند اضطرارهم، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه»[1].

١٨ ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«أيّما رجل صنع إلى رجل من ولدي صنيعة فلم يكافئه عليها، فأنا المكافئ له عليها».

١٩ ـ وفي رواية :

«فأنا أُجازيه غداً إذا لقيني يوم القيامة».

٢٠ ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«بغض عليّ كفر، وبغض بني هاشم نفاق»[2].

٢١ ـ وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا قمت المقام المحمود، تشفّعت في أصحاب الكبائر من أُمّتي فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفّعت في مَن آذى ذرّيتي»[3].

٢٢ ـ وعن ابن عباس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«أنا سيّد الأوصياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقرّبين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيّين، وذرّيتي أفضل ذرّيات النبيّين والمرسلين»[4].

(١) بحار الأنوار، عن عيون الأخبار ١ : ٢٥٣.

(٢) بحار الأنوار ٩٣ : ٢٢١، عن عيون أخبار الرضا ٢ : ٦٠.

(٣) أمالي الصدوق : ١٧٦.

(٤) أمالي الصدوق : ١٧٩.

٢٣ ـ وعن أبي جعفر عليه السلام :

«إنّ صفيّة بنت عبد المطّلب مات ابن لها، فأقبلت، فقال لها عمر : غطّي قرطكِ، فإنّ قرابتكِ من رسول الله لا ينفعكِ شيئاً، فقالت له : هل رأيت لي قرطاً يا ابن اللخناء ؟ ثمّ دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى الصلاة جامعة. فاجتمع الناس فقال صلى الله عليه وآله : ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع، لو قمت المقام المحمود لشفعت في حاروحكم، لا يسألني اليوم أحد من أبواه إلّا أخبرته، فقام إليه رجل فقال : مَن أبي يا رسول الله ؟ فقال : أبوك غير الذي تدعى له، أبوك فلان. فقام آخر فقال : مَن أبي يا رسول الله ؟ قال : أبوك الذي تُدعى له، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما بال الذي يزعم أنّ قرابتي لا تنفع، لا يسألني عن أبيه ؟ فقام إليه عمر فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، اعفُ عنّي عفا الله عنك، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[1] إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾[2]»[3].

نعم، أيّها القارئ الكريم، إنّما نحترم ونحبّ ونودّ الذرّية الطيّبة، صالحهم لله وطالحهم لرسوله، كما ورد في الخبر، فإنّ ألفُ عينٍ لأجل عينٍ تكرم، فلأجل عين رسول الله نكرم ذرّيته، وهل جزاء إبلاغ الرسالة المحمّدية إلّا المودّة في

(١) المائدة : ١٠١.

(٢) المائدة : ١٠٢.

(٣) بحار الأنوار ٩٣ : ٢٢٠، عن تفسير القمّي : ١٧٤ و ١٧٥.

القربى ؟ وما أكثر من اهتدى وسعد جزاءً لخدمته لذرّية رسول الله كما يحدّثنا التاريخ بمئات من الحوادث والوقائع، كالذي حصل للرجل المجوسي، الذي هداه الله إلى الإسلام ببركة العلوية وبناتها، لمّا أسكنهم داره في بلد الغربة، راجع في ذلك بحار الأنوار وتذكرة الخواصّ[1]، لتقف على ما أقول، ولتعرف الحقّ والحقيقة بنفسك، وقفوهم فإنّهم مسؤولون، وكفى بنفسك اليوم حسيباً.

فنتقرّب إلى الله بإكرام ذرّية رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، كما نؤدّي الخمس الذي أوجبه الله علينا في كتابه الكريم، ولا نكون كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ـ والعياذ بالله ـ فنصلّي ولكن لا نزكّي أو لا ندفع الخمس، حتّى يستحوذ الشيطان علينا فيلقي في روعنا الأباطيل وكيل التهم على مراجع التقليد أو وكلائهم...

أقولها صراحةً : على كلّ واحد منّا أن يعمل بتكليفه الشرعي، فمن عليه الخمس عليه أن يدفع ذلك إلى أهله ومستحقّيه، كما جاء في الرسائل العمليّة لمراجعنا العظام، كما على المرجع تكليفه الخاصّ، فإن لم يفعل بتكليفه، أو ترى الأموال تصرف ـ بحسب نظرك أو معلوماتك الناقصة ـ في غير محلّه، فإنّه لا يعني أن لا تعمل بتكليفك ووظيفتك، فإنّ الدنيا دار امتحان، وكما أنت صاحب الخمس تمتحن بإعطاء الخمس، فكذلك المرجع أو من يأخذ الخمس، فإنّه يمتحن به، فكلّ واحدٍ يمتحن بالآخر، ولا يكون عندك عدم العمل بالتكليف من الآخرين أن لا تعمل بتكليفك أيضاً، فهذا ممّا لا يقبل الله منك عذراً يوم القيامة، بل ادفع

(١) بحار الأنوار ٩٣ : ٢٢٥، وتذكرة الخواصّ لابن الجوزي الحنبلي : ١٠٧.

ما وجب عليك من الخمس واضمن بذلك الجنّة وطهارة الأموال والأولاد وسعادة الأهل والعيال. وربما من يأخذ منك الخمس يدخل النار، فكلٌّ يعمل على شاكلته، فاليوم يوم عمل وغداً يوم الحساب.

٢٤ ـ عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، قال:

«إنّ أشدّ ما يكون الناس حالاً يوم القيامة، إذا قام صاحب الخمس فقال: يا ربّ، خمسي...».

٢٥ ـ وفي الخبر الوارد عن الناحية المقدّسة صاحب العصر والزمان عليه السلام:

«ومن أكل من أموالنا شيئاً، فإنّما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً»[١].

فيا هذا، فهل بعد هذا يُمتنع عن الخمس ولو درهماً واحداً؟!

(١) سفينة البحار، الطبعة الجديدة ٢: ٧٢٧.

الفرع الخامس

الجهاد

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ ﴾[١].

وقال سبحانه:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[٢].

وقال عزّ من قائل:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

(١) البقرة: ١٩٠ ـ ١٩١.

(٢) البقرة: ١٩٣.

(٣) البقرة: ٢١٦.

وقال جلّ وعلا:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَـئِكَ يَـرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ ﴾[١].

وقال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِـنْكُمْ وَيَـعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[٢].

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَـبِيلِ اللهِ أَمْـوَاتاً بَـلْ أَحْـيَاءٌ عِـنْدَ رَبِّـهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

وقال سبحانه:

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُـتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾[٤].

وقال عزّ وجلّ:

(١) البقرة: ٢١٨.

(٢) آل عمران: ١٤٢.

(٣) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١.

(٤) آل عمران: ١٩٥.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً ﴾[١].

وقال تعالى:

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾[٢].

وقال جلّ وعلا:

﴿ لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالمُـجَاهِدُونَ فِـي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[٣].

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْـظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٤].

أيّها القارئ الكـريم، لو درست تـعاليم الإسـلام ومـناهجه فـي الحـياة وأحكامه الشرعيّة، لوجدتها تماشي أعلى تطوّر حضاري، وأدقّ سلوك ثقافي، وأجمل تمدّن إنساني، عرفه التاريخ والمجتمع البشري.

(١) النساء: ٧١.

(٢) النساء: ٧٤.

(٣) النساء: ٩٥ ـ ٩٦.

(٤) التوبة: ٢٠ ـ ٢٢.

ومن التعاليم الإسلامية السمحاء، هو الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى من أجل إعلاء كلمة الحقّ وإدحاض كلمة الباطل، كلمة الكفر والشرك والنفاق.

الجهاد سنّة من سنن الله سبحانه، فرضها على أوليائه وعباده، إذ الحكمة الربانية اقتضت منذ أن خلق الله الإنسان وعاش على هذه الأرض أن يكون بين معسكرين: معسكر الخير ومعسكر الشرّ، فكان الناس بين فريقين: فريق يدعون إلى الله، إلى الصدق والهدى والحقّ، وهم الأنبياء وأتباعهم، وفريق يدعون إلى الباطل والضلال والنار، ومنذ البداية كان الصراع المرير بين هذين الفريقين، وكان لا بدّ من أن ينتصر الحقّ بأهله، ولا بدّ لفريق الحقّ من أن يجاهد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، من أجل إنقاذ البشرية من براثن الشيطان وإنقاذ الناس من الظلمات والظلم وكسر القيود والأغلال، لكي لا تكون فتنة، ويكون الدين كلّه لله، ويعيش الإنسان في ظلّ العدالة والحرّية والحقّ.

فالجهاد ركن من أركان الدين الإلهي، وهو الخروج للقتال من أجل إعلاء كلمة الإسلام أو لصدّ عدوّ، والدفاع عن البلاد الإسلامية، وهو واجب على كلّ مسلم متمكّن من حمل السلاح أن يخرج وقت الحاجة مع اجتماع الشرائط المذكورة في الكتب الفقهية.

وإنّما شرّع الجهاد حصناً للإسلام، وبه يحفظ المسلمون من الأخطار ومداهمة الكفر بلادهم، وإنّما نقف على عظمة آثاره المباركة، عندما نتصفّح التاريخ الإسلامي المجيد، فنجد أثره في حياة الشعوب وتقدّمها وحضارتها أعظم من أن يوصف، لا سيّما عندما يتجلّى بالعقيدة والإخلاص، فإنّ الحياة عقيدة وجهاد.

وفريضة الجهاد تختلف عن غيرها من الفرائض والواجبات الإسلامية، فإنّها لم تشرّع لذاتها كالصلاة والصوم والحجّ، بل الجهاد كوسيلة ضرورية لحفظ المجتمع من الانهيار، فلم يشرّعه الإسلام إلّا إذا تمرّد الإنسان وطغى، وأبى السير في طريق الهدى والإيمان، وعاث في الأرض فساداً، فحينئذٍ يكون الجهاد وسيلةً لردع الضالّ والمنحرف والفاسد، كما كان في صدر الإسلام.

١ ـ قال مولانا الصادق عليه السلام:

«إنّ الله عزّ وجلّ بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا، حتّى أمره بالقتال، فالخير في السيف، والأمر يعود كما بدأ»[1].

وأعداء الإسلام عرفوا أنّ مجد المسلمين وعزّتهم في الجهاد، فأثاروا حوله الشبهات، إذ اكتشفوا أنّ الأُمّة الإسلامية لا يمكن أن تقهر أو تستعبد وفيها روح الجهاد، لهذا حاربوا هذه الروح البطولية في الإنسان المسلم، ليخضع ويرضى بالذلّ والاستعمار، ويخضع لسيطرة الطغاة والجبابرة الظالمين، ويركع لسوط الإرهاب والجور.

ولكنّ الرسول الأعظم نبّه أُمّته إلى مصدر عزّها ومجدها بقوله:

٢ ـ «اغزوا توارثوا أبناءكم مجداً».

فالمجد والكرامة في سبيل الله في الغزو والجهاد، والذلّ والهوان بالضعف وترك الجهاد.

والجهاد مع كونه واجباً، ولكنّ الله سبحانه من لطفه وعنايته يتفضّل على

---

(١) وسائل الشيعة ٦: ٩.

المجاهدين بأجرٍ عظيم، ويثيبهم بثواب جزيل وعطاء جميل، كما نجد هذه البشرى في عشرات من الآيات الكريمة والمئات من الروايات الشريفة.

جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾[1].

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[2].

﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ ﴾[3].

٣ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من خرج في سبيل الله مجاهداً فله بكلّ خطوة سبعمائة ألف حسنة، ويمحى عنه سبعمائة ألف سيّئة، ويرفع له سبعمائة ألف درجة، وكان في ضمان الله، بأيّ حتفٍ مات كان شهيداً، وإن رجع، رجع مغفوراً له مستجاباً دعاؤه».

٤ ـ ومن كلام لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«أمّا بعد، فإنّ الله تعالى فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصرةً له، والله

(١) الصفّ: ١٠ ـ ١٢.

(٢) الصفّ: ٤.

(٣) الصفّ: ١٣.

ما صلحت دنيا قطّ ولا دين إلّا به».

٥ ـ وقال عليه السلام في نهج البلاغة الشريف:

«أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجنّته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالإسهاب، وأُديل الحقّ منه بتضييع الجهاد...».

٦ ـ وقال عليه السلام:

«الجهاد عماد الدين ومنهاج السعداء».

٧ ـ وقال عليه السلام:

«إنّ الله فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به».

٨ ـ وقال عليه السلام:

«إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم مع العزّة والمنعة، وهو الكرّة، فيه الحسنات والبشرى بالجنّة بعد الشهادة».

٩ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض».

١٠ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من لقى الله بغير أثرٍ من جهاد، لقي الله وفيه ثلمة».

١١ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«من مات ولم يغزُ ولم يحدّث به نفسه، مات على شعبةٍ من نفاق».

١٢ ـ وقال ﷺ :

«إنّ لكلّ أُمّةٍ سياحة، وسياحة أُمّتي الجهاد في سبيل الله».

١٣ ـ وعنه ﷺ :

«ما من خطوة أحبّ إلى الله من خطوتين : خطوة يسدّ بها مؤمن صفّاً في سبيل الله، وخطوة يخطوها مؤمن إلى ذي رحم قاطع يصلها».

١٤ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام، قال :

«قال رسول الله ﷺ : أشرف الموت قتل الشهادة»[١].

١٥ ـ وبهذا الإسناد قال :

«قال رسول الله ﷺ : للجنّة باب يقال له : باب المجاهدين، يمضون إليه، فإذا هو مفتوح، وهم متقلّدون سيوفهم، والجمع في الموقف، والملائكة ترحّب بهم، فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنّ الله تبارك وتعالى أعزّ أُمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»[٢].

فالجهاد ذروة الإسلام، وهذا فضل الجهاد والمجاهد في سبيل الله، وعقاب من ترك الجهاد وآثاره في الدنيا والآخرة.

وأمّا مقام المجاهد في سبيل الله، فقد قال سبحانه وتعالى :

﴿ لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾[٣].

(١) بحار الأنوار ١٠٠ : ٨.

(٢) أمالي الصدوق : ٥٧٧.

(٣) النساء : ٩٥.

وقال عزّ وجلّ :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[١].

١٦ ـ قال رسول الله ﷺ :

«للجنّة باب يقال له : باب (المجاهدون) يمضون إليه فإذا هو مفتوح، وهم متقلّدون بسيوفهم، الجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم».

١٧ ـ وعنه ﷺ :

«خير الناس رجل حبس نفسه في سبيل الله يجاهد أعداءه يلتمس الموت أو القتل في مصافّه».

١٨ ـ وقال ﷺ :

«ما أعمال العباد كلّهم عند المجاهدين في سبيل الله إلّا كمثل خطّاف أخذ بمنقاره من ماء البحر».

١٩ ـ وقال ﷺ :

«لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخّان في جهنّم».

٢٠ ـ عنه ﷺ :

«السيوف مفاتيح الجنّة».

٢١ ـ وعنه ﷺ :

«إنّ الله عزّ وجلّ يباهي بالمتقلّد سيفه في سبيل الله ملائكته، وهم يصلّون

(١) محمّد ﷺ : ٣١.

عليه ما دام متقلّده».

٢٢ ـ وقال ﷺ:

«صلاة الرجل متقلّداً بسيفه تفضل على صلاته غير متقلّد بسبعمائة ضعف».

٢٣ ـ وقال ﷺ:

«فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنّ الله تبارك وتعالى أعزّ أُمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها».

٢٤ ـ وعنه ﷺ:

«اتّقوا أذى المجاهدين في سبيل الله، فإنّ الله يغضب لهم كما يغضب للرسل، ويستجيب لهم كما يستجيب لهم».

٢٥ ـ وقال ﷺ:

«إنّ الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكلٌّ آتيه منيّته كما كتب الله له، فطوبى للمجاهدين في سبيله، والمقتولين في طاعته».

٢٦ ـ عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام، قال:

«أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إنّي راغب نشيط في الجهاد، قال: فجاهد في سبيل الله، فإنّك إن تقتل كنت حيّاً عند الله ترزق، وإن متّ فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله».

فما أعظم أجر وثواب المجاهد في سبيل الله، فإن نال الشهادة والقتل فقد فاز بالحظّ الأوفى كان حيّاً عند الله يرزق، فلا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربّك يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، وإن مات ولم

يقتل في ساحة المعركة، فقد وقع أجره على الله وأعطاه ثواب الشهداء، جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، وإن رجع إلى أهله، فإنّه يرجع بذنوب مغفورة وسعي مشكور وعمل مقبول، فهل بعد هذا يتهاون أو يتكاسل عن الجهاد في سبيل الله؟...

ـــ وأمّا المرابط في الثغور وفي مواقع الحدود للبلاد الإسلامية، فقد قال الله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[2].

٢٧ ـ فقد قال رسول الله ﷺ:

«رباط يوم كصيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أُجير من فتنة القبر، وأُجري له كلّ ما كان يعمل إلى يوم القيامة».

٢٨ ـ وعنه ﷺ:

«رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها».

٢٩ ـ وقال ﷺ:

«كلّ عمل منقطع عن صاحبه إذا مات إلّا المرابط في سبيل الله، فإنّه ينمى

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) آل عمران: ٢٠٠.

له عمله ويُجرى عليه رزقه إلى يوم القيامة».

٣٠ـ وقال ﷺ:

«إنّ صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة».

٣١ـ وعنه ﷺ:

«حرس ليلة في سبيل الله عزّ وجلّ أفضل من ألف ليلة يُقام ليلها ويُصام نهارها».

٣٢ـ وقال ﷺ:

«لأن أحرس ثلاث ليالٍ مرابطاً من وراء بيضة المسلمين أحبّ إليَّ من أن تصيبني ليلة القدر في أحد المسجدين: المدينة أو بيت المقدّس».

٣٣ـ وقال ﷺ:

«عينان لا تمسّهما النار: عينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله».

وأمّا مقام الشهيد، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1].

٣٤ـ وقد قال الرسول الكريم ﷺ:

«فوق كلّ برّ برّ، حتّى يقتل في سبيل الله عزّ وجلّ، فإذا قُتل فليس فوقه برّ»[2].

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) الخصال: ٩.

٣٥ـ وقال ﷺ:

«ما من قطرة أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلّا الله عزّ وجلّ»[1].

وأمّا الفرار من الجهاد ومن الزحف الإسلامي، فهو من كبائر الذنوب التي أوعد الله بها النار، فقد قال في محكم كتابه الكريم:

﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾[2].

٣٦ـ وقال مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أسد الله الغالب عليه السلام:

«واستحيوا من الفرار، فإنّه عارٌ في الأعقاب، ونارٌ يوم الحساب».

«ولا تعرّضوا لمقت الله، ولا تفرّوا من الموت، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[3]، وأيم الله، لئن فررتم من سيف العاجلة، لا تسلموا من سيف الآخرة، فاستعينوا بالصبر والصلاة والصدق في النيّة، فإنّ الله بعد الصبر ينزل».

أي نصر الله بعد أن يصبر ويرابط ينزل على عبده.

وما أروع هذه الكلمة العلوية التي تهتزّ منها المشاعر، وتملأ القلوب بسالة وقوّة وحماساً، فقد قالها سيّد الأحرار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وروحي

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ١٠.

(٢) الأنفال: ١٦.

(٣) الأحزاب: ١٦.

وكلّ ما أملك فداه، وحريّ أن تكتب هذه الكلمات بأقلام من نور على وجنات الحور.

٣٧ ـ قال عليه السلام:

«الموت طالب ومطلوب، لا يعجزه المقيم، ولا يفوته الهارب، فقدّموا ولا تتّكلوا، فإنّه ليس عن الموت محيص، إنّكم إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفس عليّ بيده لألف ضربةٍ بالسيف على الرأس أهون من موت على فراش»[1].

ولا يخفى كما ذكرنا أنّ الإسلام دين الله القويم، إنّما ينظر إلى السيف والقتال كآخر علاج لقلع جذور الضلال والطغيان، وإلّا فإنّه قد رفع شعاره الخالد، كما في القرآن الكريم:

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ ﴾[2].

فحروبه وغزواته إنّما كانت دفاعية كما يشهد بها التاريخ.

ويعتبر القتال في سبيل الله هو الجهاد الأصغر، ويقابله الجهاد الأكبر، وهو الجهاد مع النفس الأمّارة بالسوء، فإنّ أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك ـ كما جاء في الخبر النبوي ـ وأشجع الناس من غلب هواه، ومن ثمّ من تغلّب على عدوّه الباطني وهو ألدّ الخصام وأعدى الأعداء، فإنّه وبكلّ سهولة يتغلّب على عدوّه الظاهري، ومئات من الآيات والروايات تحثّ المسلم المؤمن الرسالي على الجهاد الأكبر، كما تحثّه على الجهاد الأصغر.

(١) أمالي الطوسي ١ : ٢٢٠.

(٢) البقرة : ٢٥٦.

٣٨ ـ فعن مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث بسريّة، فلمّا رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله، ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس»[1].

الله الله في الجهاد، فإنّه السبيل القويم والصراط المستقيم الذي سار عليه الأنبياء والأولياء والصالحون والشهداء الأبرار، وضحّوا من أجله بالنفس والنفيس، وسقوا شجرة الإسلام بدمائهم الطاهرة، وحملوا مشاعل النور والحرّية والهداية للعالم. فهم أرخصوا دماءهم كي يستضيء المجتمع الإسلامي والإنساني بها، ويسعد من بعدهم، وكان المجاهدون في سبيل الله عبر التاريخ البشري حملة أوسمة المجد والعزّ للشعوب المحرومة.

لقد أرسى الإسلام بالجهاد دعائم دولته المباركة على يد رسول الله صلى الله عليه وآله، واتّسعت هذه الدولة المباركة بالجهاد أيضاً لتعمّ عدالتها البلاد الأُخرى، حتّى امتدّت رقعة الإسلام من بلاد الصين إلى ربوع الأندلس.

وما أحوج أُمّتنا الإسلامية في هذا العصر ـ عصر الصحوة الإسلامية ـ حيث يربو عدد المسلمين على مليارد مسلم، إلى إعادة مجدها وسؤددها وبناء دولتها وحضارتها العالمية من جديد، لتحلّق وتنقل هذا العالم الضائع وشعوبه الحائرة ـ بمعسكريه الغربي والشرقي ـ إلى هدى الإسلام وعدالة تشريعه، ولا يكون ذلك إلّا بالجهاد...

(١) وسائل الشيعة ٦ : ١٢٢، فراجع.

فإلى الجهاد يا شباب البلاد.

إلى عزّكم وشرفكم.

إلى إسلامكم وقرآنكم.

إلى الشهادة في سبيل الله.

إلى محاربة الطواغيت والجبابرة.

إلى خصم الظالم ومعونة المظلوم.

إلى تمهيد دولة الحقّ، عسى أن نكون من الموطّئين لحكومة القائم المهدي من آل محمّد ﷺ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

إلى إحياء آيات الجهاد وأحكامه وشعائره ومعالمه في الأُمّة الإسلامية... وفي ربوع الأرض...

الفرع السادس

الحجّ

قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه:

﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[2].

الحجّ من العبادات الاجتماعية والسياسية في الإسلام، ذات المغزى العظيم روحياً وبدنياً، فردياً واجتماعياً، في جميع حقول الحياة من العبادة والسياسة والاقتصاد والثقافة والحضارة والتقدّم والأُخوّة الإسلامية وغير ذلك.

الحجّ نقلة اجتماعية يتّجه فيها الجمهور، جمهور المسلمين المكلّفين بأداء هذه الفريضة، أو المتطوّعين للتواجد والحضور في مكان مقدّس واحد، وهو

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) الحجّ: ٢٧.

أشرف بقاع الأرض، وزمان واحد من الأشهر الحرم ذي الحجّة المبارك، يمارسون شعائر موحّدة، تجرّد الإنسان عن عالم المادّيات، وتحلّق به إلى الرفيق الأعلى، إلى عالم ملكوتي وروحاني بلا نهاية، إلى حضرة الله سبحانه، مستجمع الصفات الكمالية بنحو الإطلاق.

ويكفي في عظمة الحجّ أنّه أحد الأركان التي بني الإسلام عليها، فهو أساس يعلو عليه بناء الإسلام الشامخ، وتتجلّى فيه روح المودّة والأُخوّة والصفاء وحكومة المعنويات على المادّيات، وإنّ الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، ولا بدّ من يوم ترفرف رايات الإسلام على ربوع الأرض، فمن يحضر مكّة المكرّمة والمدينة الطيّبة يلمس ذلك بوضوح.

وإنّ هذا الدين القيّم لو تمسّك به أصحابه حقّ التمسّك وطبّقوه في مجالاتهم وحياتهم لحكم العالم ولو كره المشركون، إذ يجد الإنسان الضائع والبشرية المتحيّرة أُنشودتها وبغيتها في هذا الدين، دين الإسلام العظيم، فهو الذي تكفّل سعادة الإنسان في الدارين، دار الدنيا ودار الآخرة.

١ ـ عن مولانا الباقر عليه السلام، قال:

«بني الإسلام على خمس: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم شهر رمضان، والولاية لنا أهل البيت، وما نودي بمثل ما نودي بالولاية»[1].

فالحجّ يمثّل عزّ الإسلام وبقاءه وسلطانه، فليس لأُمّة من الأُمم مثل هذا المؤتمر العالمي الكبير والمشهد العظيم الحافل بالخيرات والبركات، يجتمع فيه المسلمون من شرق الأرض وغربها على اختلاف النحل والطوائف، وبمختلف

(١) الخصال: ٢٥٣.

الأشكال والألوان واللغات والهيئات، لا يتميّز غنيّهم عن فقيرهم، وملكهم عن مملوكهم، كلّ منهم قد اتّزر برداء وتردّى بآخر، ملبّين دعوة الله المنعكسة صداها في الأجيال عبر الأحقاب والدهور من سيّد الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام قائلاً له: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1].

أُولئك الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ويحبّون أن يطّهروا، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وكأنّه سبحانه وتعالى أراد بموقف الإحرام والمواقف الأُخرى من مناسك الحجّ، أن يذكّر الناس بمواقف يوم القيامة والاستعداد لها بحمل الزاد، وأنّ خير الزاد التقوى، وفعلاً فكم من شقي أمّ وقصد هذا البيت الحرام المبارك فرجع سعيداً، وكم من عاصٍ رجع مطيعاً، وفاجر تحوّل تقيّاً، وغافل ساهٍ صار متذكّراً، وليس هذا إلّا من بركات تلك المشاهد العظيمة والمواقف السامية الرفيعة.

فالحجّ فلاح، وقد أفلح من أقامه كما هو المطلوب شرعاً، وإنّما ركّز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام على الحجّ علماً بأهمّيته، وأنّه يحتوي على كثير من العبادات والفضائل والخير الاجتماعي والثواب الأُخروي.

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ الحاجّ إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلّا كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيّئات، ورفع له عشر درجات... وإذا طاف بالبيت

(١) الحجّ: ٢٧.

خرج من ذنوبه، وإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، وإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه».

٣ ـ وفي بعض الروايات:

«خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه».

٤ ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال عند شهادته في وصيّته لأولاده:

«الله الله في بيت ربّكم، لا تخلّوه ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناصروا».

٥ ـ وقال عليه السلام:

«الحجّ جهاد كلّ ضعيف».

٦ ـ وعنه عليه السلام:

«نفقة درهم في الحجّ تعدل ألف درهم».

٧ ـ وقال عليه السلام:

«الحاجّ والمعتمر وفد الله، ويحبوه بالمغفرة».

٨ ـ عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السلام:

«إنّ إبراهيم أذّن في الناس بالحجّ، فقال: أيّها الناس، إنّي إبراهيم خليل الله، إنّ الله أمركم أن تحجّوا هذا البيت فحجّوه، فأجابه من يحجّ إلى يوم القيامة، وكان أوّل من أجابه من أهل اليمن».

٩ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«من حجّ حجّتين لم يزل في خير حتّى يموت، ومن حجّ ثلاث حجج لم يصبه فقر أبداً».

١٠ ـ وعنه عليه السلام:

«ما رأيت أسرع غنىً ولا أنفى للفقر من إدمان حجّ البيت».

١١ ـ ولمّا سأله إسحاق بن عمّار وقال: إنّي قد وطّنت نفسي على لزوم الحجّ كلّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي، فقال الإمام الصادق عليه السلام: «وقد عزمت على ذلك؟»، قال إسحاق: نعم. فقال عليه السلام: «فإن فعلت ذلك فأيقن بكثرة المال، وأبشر بكثرة المال».

١٢ ـ وعن مولانا زين العابدين عليه السلام:

«حقّ الحجّ أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك».

١٣ ـ وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«وحجّ البيت والعمرة، فإنّهما ينفيان الفقر، ويكفّران الذنب، ويوجبان الجنّة».

١٤ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام لمّا قال له عبد الرحمن: إنّ أُناساً من هؤلاء القصّاص يقولون: إذا حجّ رجل حجّة ثمّ تصدّق ووصل كان خيراً له، فقال عليه السلام:

«كذبوا، لو فعل هذا الناس لعطّل هذا البيت، إنّ الله عزّ وجلّ جعل هذا البيت قياماً للناس».

١٥ ـ وقال عليه السلام:

«لو عطّل الناس الحجّ لوجب على الإمام أن يجبرهم على الحجّ إن شاؤوا وإن أبوا، لأنّ هذا البيت إنّما وضع للحجّ».

١٦ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يا عليّ، كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة: ... ومن وجد سعة فمات ولم يحجّ».

والمراد من الكفر هنا كما في قوله تعالى في آية الحجّ :

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾[1]، هو الكفر العملي الذي يوجب الفسق.

١٧ ـ وعنه صلى الله عليه وآله :

«من سوّف الحجّ حتّى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً».

١٨ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام :

«من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام، ولم تمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق الحجّ من أجله، أو سلطان يمنعه، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً».

١٩ ـ وعن الصادق، عن أبيه عليهما السلام، قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله : للحاجّ والمعتمر إحدى ثلاث خصال : إمّا أن يقال له : قد غفر لك ما مضى وما بقي. وإمّا أن يقال له : قد غفر لك ما مضى، فاستأنف العمل. وإمّا أن يقال له : قد حفظت في أهلك وولدك، وهي أحسنهن».

أوَ تدري ما أثر من ترك الحجّ مستطيعاً ؟

٢٠ ـ قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام، في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[2]، قال :

«نزلت في مَن يسوّف الحجّ حتّى مات ولم يحجّ، فعمي عن فريضة من فرائض الله».

---

(١) آل عمران : ٩٧.

(٢) الإسراء : ٧٢.

ومعنى (يسوّف الحجّ) كما في رواية أُخرى : ذاك الذي سوّف الحجّ، يعني حجّة الإسلام، يقول : العامّ أحجّ، العامّ أحجّ، حتّى يجيئه الموت.

٢١ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام، قال :

«من أراد الحجّ فتهيّأ له فحرمه، فبذنبٍ حُرِمه».

هذا لمن تهيّأ واستعدّ للحجّ، فكيف بمن غفل عنه، وسوّلت له نفسه في تركه بالتسويف والآمال ؟ والمراد من الحفظ في أهله كما في رواية كليب بن معاوية.

٢٢ ـ قال : «قلت لأبي عبد الله عليه السلام : شيعتك تقول : الحاجّ أهله وماله في ضمان الله، ويخلف أهله، وقد أراه يخرج فيحدث على أهله الأحداث ؟ فقال : إنّما يخلفه فيهم بما كان يقوم به، فأمّا ما كان حاضراً لم يستطع دفعه فلا».

نعم... روايات أهل البيت تفسّر بعضها بعضاً، كالقرآن الكريم يفسّر بعضه البعض الآخر، فكلامهم نور ووصيّتهم التقوى، وفعلهم الخير، وسجيّتهم الكرم، وعادتهم الإحسان، وبآل محمّد عرف الصواب، وفي بيوتهم نزل الخطاب.

ونعود إلى الموضوع ونقول : العبادات في الشريعة السمحاء تنقسم إلى قسمين :

١ ـ عبادة عملية : كالصلاة والصوم.

٢ ـ عبادة مادّية : كالخمس والزكاة.

والحجّ هو العبادة الوحيدة التي تشتمل على القسمين معاً، فهو عبادة عملية؛ لما فيه من الأعمال كالطواف والسعي، ومادّية؛ لما فيه من نفقات الذهاب

والإياب والاضحية وغير ذلك.

ويا ترى، من يملك مثل هذا المؤتمر العالمي السنوي العظيم؟ فلا بدّ على كلّ مسلم رسالي ومؤمن بالشريعة المحمّدية الخالصة أن يحسّ بالمسؤولية في قبال هذا المؤتمر الفذّ، فيستغلّه لترويج الدين الإسلامي الحنيف وتحقيق أهدافه المقدّسة في العالم والتفاهم عن مشاكل المسلمين وحلولها، فهو رحمة كبرى للمسلمين، وفيه منافع للناس، وإنّه خير دليل على عظمة الإسلام وحكومته، وكونه أفضل الشرائع وناسخ الأديان والمذاهب والمنتصر على الحكومات اللاإسلامية، وقد عرف الاستعمار المقيت بمعسكريه الغربي والشرقي هذه الحقيقة، فتراهم ليل نهار يخطّطون ويدسّون السمّ القاتل، ويبثّون ثقافتهم المنحطّة وأخلاقهم الرذيلة بين المسلمين لتفريغ الحجّ من محتواه الأصيل، ليكتفِ المسلمون بظاهر الإسلام وظاهر الحجّ، فيسلّطون على معالم الحجّ وحقيقته عملاءهم الخونة بحقّ المسلمين، ليسوغ لهم سلب ثرواتهم الطبيعية كالبترول، لتنام أعينهم برغد وهناء باستثمار المسلمين السذّج، ولكن هيهات هيهات، فإنّ الصحوة الإسلامية وروح الإسلام قد دبّ في جسد المسلمين، وعاد الإسلام على ما كان في بداية دعوته، وقد بشّر الله المسلمين بأنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون، فسلبوا النوم من عيون المستعمرين والاستكبار العالمي، ولا بدّ للقدر أن يستجيب، ولا بدّ للقيد أن ينكسر، وللظلام أن ينجلي، وللحقّ أن ينتصر، أليس الصبح بقريب؟ نعم والله، إنّه لقريب.

هذا وربما نقف على فلسفة الحجّ بنحو الإجمال من خلال آيات الحجّ في القرآن الكريم، فإنّه سبحانه وتعالى قال:

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾[1].

ولا يمكن حصر هذه المنافع والإحاطة بها، سواء المنافع الاقتصادية أم الثقافية والسياسية وكلّ ما ينطبق عليه عنوان المنفعة من المنافع الدنيوية وحتّى النفسية والروحية والأُخروية، وقد تكثر المنافع والمعاني السامية التي تعترض هاجس الحاجّ وهو يتهيّأ لأفضل رحلة في الحياة، فتراه يحرص على البحث عن المدلولات الشرعية والإسلامية لكلّ ما يمرّ به، ويدرك ما يتركه الإسلام في النفوس من سحر جذّاب وأُخوّة صادقة، وهذه منفعة من المنافع في الحجّ، فإنّ الحاجّ يدرك معنى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2].

ويتجلّى له هذا المفهوم ـ الأُخوّة الإسلامية ـ في الحجّ، إذ اختلطت في ديار الحجّ جنسيات عديدة وألوان متغايرة ولغات متباينة وطباع مختلفة باختلاف الديار التي قدموا منها، ولكن الاخوّة يلمسها الحاجّ من كلّ واحد منهم مهما اختلفت لغته وبعدت داره، فيدرك حينئذٍ ما يتركه الحجّ في النفوس من أُلفة ومحبّة ومودّة وأُخوّة صادقة. فإنّ الإسلام قد ألّف بين قلوبهم، وآخت العقيدة بين ضمائرهم، ويتجلّى الاعتصام والوحدة الإسلامية في أروع صورة، وإنّ الأُلفة التي تدوم بدوام الحياة بل وبعد الممات، هي أُلفة الدين، أُلفة العقيدة الراسخة، ولاأرسخ من عقيدة الإسلام.

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ

---

(١) الحجّ: ٢٨.

(٢) الحجرات: ١٠.

بَيْنَهُمْ ﴾[1].

أجل، الحجّ من أركان الإسلام، وقد خصّت سورة من سور القرآن باسم الحجّ، وقد ذكر الحجّ في القرآن الكريم في عشرة مواضع، تسعة منها بلفظ (الحجّ) بفتح الحاء المهملة، وواحدة بلفظ (حجّ البيت) بكسر الحاء، وكلاهما من أصل واحد.

الحجّ ـ بالفتح ـ بمعنى قصد الزيارة، و ـ بالكسر ـ بمعنى نتيجة القصد ـ أي الزيارة المقصودة ـ.

وبعبارة أُخرى: الأوّل مصدر (حجج)، والثاني اسم المصدر.

والواجب على الناس حجّ البيت، أي الزيارة المقصودة، ولا يكفي قصد الزيارة وحسب، فالحجّ ـ بالفتح ـ مقدّمة للحجّ ـ بالكسر ـ. فإنّ النيّة والقصد القلبي مقدّمة الأعمال والأفعال والمناسك.

والحجّ في اللغة يأتي على معانٍ يمكن إرادتها في الحجّ المصطلح الذي بمعنى زيارة بيت الله الحرام، فالحجّ لغةً بمعنى:

١ ـ القصد أو كثرته إلى من يراد تعظيمه، فالناس في حجّهم بيت الله الحرام يقصدون ربّ البيت تعظيماً لشعائره، فإنّ تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب.

٢ ـ الكفّ، فالقاصد إلى الله في سفره الروحي الملكوتي عليه أن يكفّ عمّا سوى الله ويترك كلّ شيء لم يمتّ بصلة مع الله سبحانه، حتّى نفسه التي بين جنبيه، حتّى يصل إلى مقام الفناء في الله، ويمتلئ وجوده شوقاً وحبّاً وعشقاً لله عزّ وجلّ.

(١) الأنفال: ٦٣.

٣ ـ القدوم، فيقدم على بيت الله وبيت الناس بنيّة صادقة وإيمان وتقوى وإخلاص.

٤ ـ الغلبة بالحجّة، فمن يضع أقدامه في صراط الله المستقيم يتغلّب على النفس الأمّارة بالسوء، وعلى شياطين الجنّ والإنس، وعلى الدنيا المغرية، بحجّة دامغة وبرهان قاطع.

٥ ـ كثرة الاختلاف والتردّد على بيت الله الحرام، ليجتمع مع الناس في أيام معلومات في مؤتمر عالمي، ليستعيذ بالله من شرّ الوسواس الخنّاس، ويصل إلى المقام المحمود في مقعد صدق، عند مليكٍ مقتدر.

وخير برهان وحجّة للإسلام وأحقّيته، هي (حجّة الإسلام) الذي يجب على كلّ من استطاع إليه سبيلاً في العمر مرّة.

كما أنّ العمرة (عمرة الإسلام) هي الزيارة التي فيها عمارة الودّ والمحبّة والصفاء، وهي مقدّمة لتكميل الحجّ وكماله.

والبيت الحرام كعبة المسلمين وقبلتهم ومطافهم، قد ذكر في كتاب الله في ستّة عشر موضعاً.

في موضعين ينسب ربّنا الله البيت إلى نفسه في قوله تعالى مخاطباً إبراهيم خليله عليه السلام:

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾[1].

ومخاطباً إيّاه مع إسماعيل ذبيح الله:

(١) الحجّ: ٢٦.

﴿ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِي ﴾[١].

وفي موضع ينسب إبراهيم الخليل البيت إلى ربّه، في قوله:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾[٢].

وفي ثلاث مواضع ينسب إلى الناس:

١ ـ ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٣].

٢ ـ ﴿ جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ ﴾[٤].

٣ ـ ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾[٥].

والمثابة في اللغة بمعنى: الملجأ، المتاب، المنتبه، المرجع، المقام، المستقى، وهذه المعاني كلّها تتجلّى في الحجّ وفي البيت الحرام.

والبيت مكان الاستراحة البدنية تارةً، والروحية أُخرى، والناس في بيت الله الحرام في راحة روحية ومعنوية.

وأمّا المواضع الأُخرى، فقد ذكر البيت إشارة إلى ذلك البيت الذي هو بيت الله وبيت الناس، كما في قوله تعالى:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ ﴾[٦].

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

(٣) آل عمران: ٩٦.

(٤) المائدة: ٩٧.

(٥) البقرة: ١٢٥.

(٦) قريش: ٣.

ونسبة البيت إلى الله سبحانه نسبة تشريفية.

فالروح في الحجّ في رَوح وريحان، في نهضة إنسانية وحركة بشرية وقيام أُناسي، تتطهّر من العلائق الدنيوية، فالروح في حجّها البيت المعمور، بيت الله العتيق، لتعبد ربّ البيت، وترجع إلى ربّها في حياة إنسانية ربّانية، في جمع سنوي عالمي، تقيم في كنف ربّها، لنظم أمرها الفردي والاجتماعي، السياسي والثقافي، الاقتصادي والعسكري، وتلتجئ في ملجأ صدقٍ إلهي، من أخطار الشرك والضلال والأنانية، وتستقي لظمأها، لتروي عطشها للمعارف وأسرار الكون والعلوم الإلهية، تائبةً من ذنوبها وجرمها ومعاصيها، وتنتبه من الغفلات والهفوات، إذ جعل الله البيتَ مثابةً للناس وأمناً وهدىً ورحمة وبركة.

وكما بنيت الكعبة على قوائم أربعة، فكذلك تشيّدت في كتاب الله على أُسس أربعة:

١ ـ ليشهدوا منافع لهم.

٢ ـ مثابةً للناس.

٣ ـ قياماً للناس.

٤ ـ هدىً ومباركاً.

فبعد الشهود والحضور، والمثابة بمعانيها، يقوم الناس لله، وهذه موعظة القرآن الكريم:

﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ﴾[١].

أي القيام الفردي والجماعي، ويتجلّى هذا القيام الإلهي في مناسك الحجّ،

(١) سبأ: ٤٦.

وفيها الهداية التشريعية والتكوينية، وفيها البركات السماوية والأرضية، وفي مثل هذا المؤتمر، تظهر عزّة الإسلام وشوكة المسلمين وعظمتهم، لو رجعنا إلى أصالة الحجّ في الإسلام دين الله القويم.

الحجّ قيام الناس، للخلاص من شرّ الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس من الجِنّة والناس.

الحجّ خلاصة الإسلام، ومناسكه فكر وحركة ونضال وثورة وقيام للناس، لتشكيل دولة إسلامية عالمية، مثابة لهم وأمناً وهدىً ومباركاً ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله، ويتعلّموا كيف الوصول إلى الله سبحانه، وكيف الحياة وكيف الممات.

على الحاجّ أن يدرك أسرار الحجّ، ويقف على معاني الحركة والسكون في الحجّ، ويعرف حقيقة الإحرام والطواف والصلاة والسعي والوقوف في عرفة ومشعر الحرام والبيتوتة في منى ورمي الجمار والذبح والحلق والتقصير، ويصل إلى مقام العبودية والحرّية ـ عبد الله وحرّاً ممّن سواه، حرّاً من الأنانية والنفس الأمّارة والطواغيت والناس والشياطين وكلّ ما سوى الله سبحانه ـ فلا بدّ من الهجرة من غير الله إلى الله جلّ وعلا في السير إلى الله وفي حجّ بيت الله الحرام، فهلمّوا إلى حجّ يرضي الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام وصحبه الكرام.

ولا بأس أن نذكر بعض العلل والحِكَم التي جاءت في الأخبار والروايات الشريفة:

٢٣ ـ قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة:

«وفرض عليكم حجّ بيته الحرام الذي جعله قبلةً للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون الله ولوه الحمام، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته،

وإذعانهم لعزّته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً وللعائذين حرماً ...».

٢٤ ـ وعن مولانا الإمام الرضا عليه السلام كما في بحار الأنوار:

«علّة الحجّ: الوفادة إلى الله عزّ وجلّ، وطلب الزيادة والخروج من كلّ ما اقترف، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل. وما فيه من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذّات، والتقرّب في العبادة إلى الله عزّ وجلّ، والخضوع والاستكانة والذلّ، شاخصاً في الحرّ والبرد والأمن والخوف، ثابتاً في ذلك دائماً، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرهبة إلى الله عزّ وجلّ، ومنه ترك قساوة القلب وخساسة الأنفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق وحظر الأنفس عن الفساد ومنفعة من في المشرق والمغرب ومن في البرّ والبحر، وممّن لا يحجّ، من تاجر وجالب وبائع ومشترٍ وكاتب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها، كذلك ليشهدوا منافع لهم».

٢٥ ـ وعن الفضل بن يونس، قال: «أتى ابن أبي العوجاء ـ الزنديق ـ مولانا الإمام الصادق عليه السلام، فجلس إليه في جماعة من نظرائه، ثمّ قال له: يا أبا عبد الله، إنّ المجالس أمانات، ولا بدّ لكلّ من كان به سعال أن يسعل، فتأذن لي في الكلام؟

فقال الصادق عليه السلام: تكلّم بما شئت.

فقال ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر،

وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر، من فكّر في هذا أو قدّر، علم أنّ هذا فعلٌ أسّسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل، فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أُسّه ونظامه ؟

فقال الصادق عليه السلام : إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه استوخم الحقّ فلم يستعذ به، وصار الشيطان وليّه، يورده مناهل الهلكة ثمّ لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه، ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وقد جعله محلّ الأنبياء وقبلة المصلّين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق تؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، وأحقّ من أُطيع فيما أمر وانتهى عمّا نهى عنه، وزجر الله المنشئ للأرواح والصور».

هذا وقد ذكرت معالم الحجّ وفلسفة مناسكه، كما ذكرت تاريخ مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة في كتاب سمّيته : (معالم مكّة والمدينة).

وقد ذكرت فيه حكمة الحجّ من الروايات الشريفة، وإليك إجمالها.

١ ـ الكعبة قبلة للأنام.

٢ ـ علامة لتواضع الناس لعظمته.

٣ ـ تصديق مواقف الأنبياء.

٤ ـ تشبّه بالملائكة الطائفين.

٥ ـ علم الإسلام.

٦ ـ حرم للعائذين.

٧ ـ استعبد الله به خلقه للاختبار.

٨ ـ محلّ الأنبياء.

٩ ـ شعبة من رضوان الله.

١٠ ـ طريق يؤدّي إلى غفران الله.

١١ ـ الوفادة إلى الله وطلب الزيادة.

١٢ ـ الخروج عن كلّ ما اقترف العبد من الذنوب.

١٣ ـ فيه منافع لجميع الخلق من يحجّ ومن لا يحجّ.

١٤ ـ جعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب.

١٥ ـ ليعرف أخبار الرسول صلى الله عليه وآله وآثاره ويذكر ولا ينسى.

١٦ ـ يعلم أهل البيت عليهم السلام ولايته.

١٧ ـ أمر الله آدم أن يحجّ ليتوب عليه.

١٨ ـ اختبار الأوّلين والآخرين.

١٩ ـ إخراجاً للتكبّر من القلوب.

٢٠ ـ قياماً للناس.

ولا بدّ من الإخلاص في كلّ نيّة وعمل، وكذلك الحجّ.

٢٦ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام :

«الحجّ حجّان : حجّ لله وحجّ للناس، فمن حجّ لله كان ثوابه على الله الجنّة، ومن حجّ للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة».

٢٧ ـ وعنه عليه السلام :

«من حجّ يريد الله عزّ وجلّ لا يريد به رياءً ولا سمعة، غفر الله له البتّة».

٢٨ ـ وقال عليه السلام في علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام :

«ورأيت طلب الحجّ والجهاد لغير الله... فكن على حذر، واطلب من الله النجاة».

واعلم أنّ من تمام الحجّ معرفة الولاية ولقاء الإمام عليه السلام : ﴿ وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ ﴾[1].

٢٩ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام :

«تمام الحجّ لقاء الإمام».

٣٠ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله : ﴿ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾[2] : «لقاء الإمام».

٣١ ـ وقال عليه السلام :

«إذا حجّ أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا، لأنّ ذلك من تمام الحجّ».

٣٢ ـ وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«أتمّوا برسول الله صلى الله عليه وآله حجّكم إذا خرجتم إلى بيت الله، فإنّ تركه جفاء، وبذلك أُمرتم، وأتمّوا بالقبور التي ألزمكم الله عزّ وجلّ حقّها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها».

٣٣ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام :

«إنّما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثمّ يأتوننا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرهم».

ثمّ لكلّ شيء أدب ـ والأدب بمعنى حُسن العمل وظرافته ـ وكذلك للحجّ والإحرام والحاجّ آداب وآداب.

(١) البقرة : ١٩٦.

(٢) الحجّ : ٢٩.

٣٤ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام :

«ما يُعبا بمن يؤمّ هذا البيت إذا لم يكن فيه ثلاث خصال : ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الصحابة لمن صحبه».

٣٥ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

«إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيراً، وقلّة الكلام إلّا بخير، فإنّ من تمام الحجّ والعمرة أن يحفظ المرء في لسانه إلّا من خير، كما قال الله تعالى، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ ﴾[1]».

٣٦ ـ عن مالك بن أنس قال : حججت مع الصادق عليه السلام سنة، فلمّا استوت به راحلته عند الإحرام كان كلّما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخرّ من راحلته، فقلت : يا بن رسول الله، ولا بدّ لك من أن تقول ؟ فقال عليه السلام :

«يا ابن أبي عامر، كيف أجسر أن أقول : لبّيك اللّهم لبّيك، وأخشى أن يقول عزّ وجلّ لي : لا لبّيك ولا سعديك» ! !

إذا كان حال الإمام المعصوم عليه السلام هكذا، فما بالنا وبال الآخرين ؟ ! !

٣٧ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

«إذا اكتسب الرجل مالاً من غير حلّه ثمّ حجّ فلبّى، نودي : لا لبّيك ولا سعديك، وإن كان من حِلّه فلبّى نودي : لبّيك وسعديك».

٣٨ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال :

«من حجّ بمال حرام فقال : لبّيك اللهمّ لبّيك، قال الله له : لا لبّيك

(١) البقرة : ١٩٧.

ولاسعديك، حجّك مردود عليك».

٣٩ ـ وعن مولانا الإمام الرضا عليه السلام:

«إنّما أُمروا بالإحرام ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وأمنه، ولئلّا يلهوا ويشتغلوا بشيء من أُمور الدنيا وزينتها ولذّاتها، ويكونو جادّين فيما هم فيه، قاصدين نحوه، مقبلين عليه بكلّيتهم».

٤٠ ـ وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا أردت الحجّ فجرّد قلبك لله تعالى من قبل عزمك من كلّ شاغل، وحجاب كلّ حاجب، وفوّض أُمورك كلّها إلى خالقك، وتوكّل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلّم لقضائه وحكمه وقدره، وودّع الدنيا والراحة والخلق، وأخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوّتك وشبابك ومالك، مخافة أن يصير ذلك عدوّاً ووبالاً، فإنّ من ادّعى رضا الله واعتمد على شيء صيّره عليه عدوّاً ووبالاً، ليعلم أنّه ليس له قوّة ولا حيلة ولا لأحدٍ إلّا بعصمة الله وتوفيقه، واستعدّ استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراعِ أوقات فرائض الله وسنن نبيّه صلى الله عليه وآله، وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء وإيثار الزاد على دوام الأوقات، ثمّ اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع، وأحرم من كلّ شيء يمنعك من ذكر الله ويحجبك عن طاعته، ولبّ بمعنى إجابة صافية زاكية لله عزّ وجلّ في دعوتك له متمسّكاً بالعروة الوثقى، وطُف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول هرولة من هواك، وتبرّياً من جميع حولك وقوّتك،

فاخرج من غفلتك وزلّاتك بخروجك إلى منى، ولا تتمنّ ما لا يحلّ لك ولا تستحقّه، واعترف بالخطايا بعرفات وجدّد عهدك عند الله بوحدانيّته، وتقرّب إلى الله ذا ثقة بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك إلى الجبل، واذبح حنجرتي الهوى والطمع عند الذبيحة، وارمِ الشهوات والخساسة والدناءة والأفعال الذميمة عند رمي الجمرات، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق رأسك، وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم، وزر البيت متحقّقاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضاً بقسمته وخضوعاً لعزّته، وودّع ما سواه بطواف الوداع، وصَفِّ روحك وسرّك للقاء الله يوم تلقاه بوقوفك على الصفا، وكن ذا مروّة من الله تقيّاً أوصافك عند المروة، واستقم على شرط حجّك هذا ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربّك، وأوجبته إلى يوم القيامة»[1].

وأخيراً، هذا غيض من فيض في عظمة الحجّ، وناهيك بهذا الركن القويم، واللقاء العظيم، الذي يحضره المسلمون القادرون في كلّ عام، ليشهدوا منافع لهم، وليطوفوا بالبيت الحرام، وهل يخفى على أحد ما فيه الشموخ والرفعة والسموّ والعظمة؟ أفلا يتدبّرون؟

سبحانك يا ربّ العالمين، ونحمدك اللهمّ على ما أنعمت علينا بنعمة الإيمان، وإيّاك نعبد وإيّاك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، واغفر لنا يوم الدين، واحشرنا في زمرة المتّقين مع محمّد وآله الطاهرين.

---

(١) نقلنا الروايات من ميزان الحكمة، فراجع.

وحبّذا أن نطلب من الله سبحانه حجّ بيت الله الحرام.

وإليكم بداية دعاء من أدعية طلب الحجّ:

«اللهمّ ارزقني الحجّ الذي فرضته على من استطاع إليه سبيلاً، واجعل لي فيه هادياً، وإليه دليلاً، وقرّب لي بُعد المسالك، وأعنّي على تأدية المناسك...»[1].

(١) مفاتيح الجنان: ٤٦١، مناجاة طلب الحجّ.

الفرعان السابع والثامن

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ المُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ ﴾[2].

وقال عزّ وجلّ:

﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[3].

وقال عزّ من قائل:

﴿ وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) آل عمران: ١١٤.

عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[1].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرعان من فروع الدين الإسلامي الحنيف.

ومعنى الأوّل: هو الأمر بجميع الأعمال الصالحة والطيّبة التي طلبها الله سبحانه وتعالى من الناس المؤمنين، كالفرائض وغيرها من الواجبات الشرعية، وقيل: المعروف هو الفعل الحسن عند العقل والشرع، المشتمل على صفة راجحة تزيد حسنه وتخصّ به.

ومعنى الثاني: هو أن ينتهى عن جميع الأعمال التي نهى الله تعالى عنها، وعن جميع القبائح والمساوئ الأخلاقية وذميم الصفات.

ولا يختصّ ذلك برجال الدين وأهل العلم وحسب، بل هو واجب على كلّ مسلم ومسلمة، كلّ على حسب مقدرته وتمكّنه، إذ كما ورد في الخبر النبويّ الشريف:

١ ـ «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته».

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان واجبتان من الله عزّ وجلّ مع الإمكان، فعلى العبد أن يغيّر المنكر بقلبه ولسانه ويده، فإن لم يقدر عليه فبقلبه ولسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

والله سبحانه قد جعل للفعل المعروف علامات، وعلى الفعل المنكر أمارات، ووعد على فعل المعروف حلول دار النعيم، جنّات تجري من تحتها الأنهار، وأوعد على فعل المنكر خلود دار الجحيم، إنّها لظى نزّاعةً للشوى، وهما

(١) التوبة: ٧١.

لا يقرّبان أجلاً، ولا يقطعان رزقاً، بل يصلحان الفرد والمجتمع، ويوجبان سعادة البشر.

وإنّما الشيطان اللعين وأعوانه وحزبه من الجنّ والإنس، يصوّرون للمسلم أنّ في الأمر بالمعروف مثلاً مخاطر وأهوال، وربما يصاب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالمتاعب والمصائب، ولكن هيهات، فإنّ ذلك من إلقاءات الشيطان، وإيحاءات أزلامه الفَسَقَة وأعوانه الفَجَرَة، ولا بدّ من محاربتهم والجهاد ضدّهم، والتغلّب عليهم بنصرة الله جلّ وعلا، فإنّه خير ناصرٍ وخير معين.

٢ ـ وعنه صلى الله عليه وآله:

«إنّ الله عزّ وجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له».

فقيل له: وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال:

«الذي لا ينهى عن المنكر».

فهذا وإن كان مؤمناً، إلّا أنّه إذا لم ينه عن المنكر فهو ضعيف الإيمان، بل لم يكمل في دينه، فلا دين كامل له.

٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«لا ينبغي لنفس مؤمنة ترى من يعصي الله فلا تنكر عليه».

٤ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود».

٥ ـ وعنه عليه السلام في وصيّته لمحمّد بن الحنفيّة:

«وأمر بالمعروف تكن من أهله، فإنّ استتمام الأُمور عند الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

٦ ـ وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾[١]، قال: «من المشقّة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

٧ ـ وقال عليه السلام:

«الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق ...».

٨ ـ «وفرض الأمر بالمعروف مصلحةً للعوام ...».

٩ ـ «فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين ...».

١٠ ـ «فرض الله ... النهي عن المنكر ردعاً للسفهاء ...».

١١ ـ «ومن نهى عن المنكر أرغم أُنوف الكافرين (المنافقين)».

١٢ ـ وقال عليه السلام:

«إنّما هلك من كان قبلكم بحيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربّانيون والأحبار عن ذلك ـ أي العلماء ـ فإنّهما لمّا تمادوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات».

١٣ ـ وعنه عليه السلام:

«فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرون الماضية بين أيديكم إلّا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك المناهي».

١٤ ـ وكان الإمام الحسين عليه السلام يقول:

«لا تحلّ لعينٍ مؤمنةٍ ترى الله يُعصى فتطرف حتّى يغيّره».

---

(١) لقمان: ١٧.

١٥ ـ وقال عليه السلام:

«اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول: ﴿ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ ﴾[١]، وقال: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[٢]، وإنّما عاب الله ذلك عليهم لأنّهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبةً فيما كانوا ينالون منهم، ورهبةً ممّا يحذرون، والله يقول: ﴿ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾[٣]».

١٦ ـ وقال عليه السلام:

«اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أولياءه... وقال: ﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٤]، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنّها إذا أُدّيت وأُقيمت استقامت الفرائض كلّها هيّنها وصعبها، وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقّها».

١٧ ـ قال الإمام مولانا الباقر عليه السلام:

«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما أعزّه الله، ومن خذلهما خذله الله عزّ وجلّ»[٥].

---

(١) المائدة: ٦٣.

(٢) المائدة: ٧٨.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) التوبة: ٧١.

(٥) الخصال: ٤٢.

١٨ ـ وفي حديث له عليه السلام :

«إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأُمراء».

الله أكبر، ما أكثر وأروع فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبهما يتحقّق الدين، وتقوم أركانه، ويسعد المجتمع، وتسود العدالة الاجتماعية، في أرجاء المعمورة، ويسلم المرء بهما في الدنيا والآخرة.

١٩ ـ قال مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

«من كنّ فيه ثلاث خصال، سلمت له الدنيا والآخرة: من أمر بالمعروف وائتمر به، ونهى عن المنكر وانتهى عنه، وحافظ حدود الله»[1].

أوَ تدري ما لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

٢٠ ـ اقرأ ما قاله النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله :

«لا يزال الناس بخيرٍ ما أمروا بمعروف ونهوا عن منكر، وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[2].

٢١ ـ وفي نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«أيّها المؤمنون، إنّه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكراً يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه، ومن

(١) أمالي المفيد : ٧٧.

(٢) مشكاة الأنوار : ٥١.

أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، ونوّر في قلبه اليقين».

٢٢ ـ وفي كلام آخر له عليه السلام يجري هذا المجرى :

«... فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك المستكمل خصال الخير. ومنهم : المنكر بلسانه وقلبه، والتارك بيده، فذلك متسمّك بخصلتين من خصال الخير ومضيّع خصلة. ومنهم : المنكر بقلبه، والتارك بيده ولسانه، فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث، وتمسّك بواحدة. ومنهم : التارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده، فذلك ميّت الأحياء. وما أعمال البرّ كلّها، والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّاكنفثة في بحرٍ لجّي، وإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرّبان من أجل، ولا ينقصان من رزق، وأفضل من ذلك كلّه، كلمة عدل عند إمام جائر».

حقّاً كلام الإمام إمام الكلام، كلامه عليه السلام فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق. فماذا يعني في قوله : «إلّاكنفثةٍ في بحرٍ لُجّي» ؟ وما المقصود ؟ وما الأثر في قوله : «وأفضل من ذلك كلّه كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائر» ؟ ماذا أقول أمام هذه الكلمات المشرقة، وهذه الحروف الناصعة ؟ ولا غرو لو خطّت على وجنات الحور، بأقلام من نور، لما تحمل من معاني سامية بسموّ السماء، ومفاهيم عالية بعلوّ العلياء، فإنّها والله دروس قيّمة تعجّ بالحيوية والنشاط والحركة، تعلّم الأجيال في تمام العصور والأحقاب، وتبيّن وظائفهم الدينية، ومسؤولياتهم الإنسانية.

هذا، وإذا أردنا أن نقف على عظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعلينا أن نرجع البصر كرّةً أُخرى في الآيات الكريمة، والروايات الشريفة،

لنشاهد ما يروي الظمآن ويشفي الغليل، ويسعد الإنسان في حياته.

قال الله تعالى:

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[1].

ولهما مراتب ثلاثة: باعتبار الظروف التي يعيشها الإنسان المسلم الرسالي، ولهما شروط مذكورة في الكتب الفقهية والرسائل العمليّة، فراجع.

وإنّ الأمر بالمعروف هو الحمل على الطاعة قولاً، وإرادة وقوعها من المأمور به.

والنهي عن المنكر هو المنع عن فعل المعاصي قولاً أو فعلاً أو كراهة وقوعها.

وإنّما ثبت وجوبهما نقلاً بإجماع أهل القبلة للآيات والروايات، وعقلاً لأنّهما لطف، إذ أنّهما ممّا يقرّبان إلى الطاعة، ويبعدان عن المعصية، من غير أن يبلغا حدّ الإلجاء، واللطف كما ثبت في علم الكلام واجب، على مقتضى قواعد العدل، لأنّه ممّا يحصل به الغرض ويلزم من عدم وجوبه عدم حصول الغرض، فوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عقلاً وثبت المطلوب.

ووجوبهما من الواجب الكفائي، الذي يسقط عن الآخرين بإتيان البعض، وإلّا يأثم الجميع، وإنّما وجوبهما كفائي لأنّ الغرض شرعاً، وقوع المعروف وحصوله في المجتمع، وارتفاع المنكر، إذ المجتمع بحكم السفينة، فعامل المنكر كأنّما يثقب السفينة، فمن رآه ولم يردعه ويمنعه ليرتفع المنكر، لكانت النتيجة

(١) لقمان: ١٧.

غرق السفينة في بحر الظلمات، ظلمات بعضها فوق بعض، من الشهوات والانحطاط الخلقي والضياع والشقاء في الدنيا والآخرة، فالمراد ارتفاع المنكر من غير اعتبار مباشر معيّن، فكلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته، فإذا حصلا ارتفع الوجوب، وهذا معنى الواجب الكفائي، كما يستحبّ الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه.

وإنّما يجبان مع علم الآمر والناهي المعروف والمنكر شرعاً، لئلّا يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف، ومع الأمن من الضرر وانتفاء المفسدة على المباشر أو على بعض المؤمنين نفساً أو مالاً أو عرضاً، ومع تجويز التأثير بأن لا يكون التأثير ممتنعاً، بل ممكناً بحسب ما يظهر له من حاله، وإصرار الفاعل على المنكر، وقد ذكر الفقهاء مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتبهم الفقهية من الرسائل العملية والمطوّلات الاستدلالية، جزاهم الله خير الجزاء.

أيّها القارئ الكريم، يعزّ عليَّ أن أترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا أذكر في شأنهما الشامخ بعض الروايات الشريفة، عن أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم أدرى بما في البيت، فإليك روايات قصيرة الألفاظ كبيرة المعاني، وجيزة الحروف عظيمة المفاهيم، وأملي بك أن تمعن النظر وتتأمّل بدقّة فيها، وتحفظها وتنشرها بين الناس، لتسعد ويسعد مجتمعك، وتفوز ويفوز الناس، وتنال الثواب والأجر، ولنعم أجر العاملين، هذا وزكاة العلم نشره.

٢٣ ـ عن أحدهما عليهما السلام ـ الباقر أو الصادق ـ أنّه قال:

«لا دين لمن لا يدى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

(١) بحار الأنوار ٩٧: ٨٦.

٢٤ ـ وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله :

«من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو خليفة الله في الأرض وخليفة رسوله»[١].

٢٥ ـ وعن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام :

«غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»[٢].

وفي القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغْيِ ﴾[٣].

٢٦ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام :

«إذا رأى المنكر فلم ينكره وهو يقدر عليه، فقد أحبّ أن يعصى الله، ومن أحبّ أن يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة»[٤].

٢٧ ـ وعن أبي بصير، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[٥]، قلت : هذه نفسي أقيها، فكيف أقي أهلي ؟

قال : «تأمرهم بما أمر الله به، وتنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، فإن أطاعوك كنت وقيتهم، وإن عصوك فكنت قد قضيت ما عليك»[٦].

---

(١) مستدرك الوسائل ٢ : ٣٥٨.

(٢) المصدر السابق : ٣٥٩.

(٣) النحل : ٩٠.

(٤) مستدرك الوسائل ٢ : ٢٥٧.

(٥) التحريم : ٦.

(٦) بحار الأنوار ٩٧ : ٧٤.

٢٨ ـ وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله :

«إذا لم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر، ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي، سلّط الله عليهم شرارهم، فيدعو عند ذلك خيارهم، فلا يستجاب لهم»[١].

٢٩ ـ ومن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام عند شهادته :

«لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم».

٣٠ ـ وعن الإمام جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام، قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ المعصية إذا عمل بها العبد سرّاً، لم تضرّ إلّا عاملها، وإذا عمل بها علانية ولم يغير عليه، أضرّت العامّة».

٣١ ـ قال جعفر بن محمّد عليهما السلام :

«وذلك إنّه يذلّ بعمله دين الله، ويقتدي به أهل عداوة الله».

٣٢ ـ وعنه عليه السلام :

«ما أقرّ قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيّرونه، إلّا أوشك أن يعمّهم الله بعقابٍ من عنده».

٣٣ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام :

«أيّها الناس، إنّما يجمع الناس الرضى والسخط، وإنّما عَقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضا».

٣٤ ـ وقال عليه السلام :

«من استحسن قبيحاً، كان شريكاً فيه».

---

(١) المصدر السابق : ٧٢.

٣٥ ـ أيّها المطالع الكريم، لا تكن والعياذ بالله من الذين قال الباقر عليه السلام فيهم :

«يكون في آخر الزمان قوم، يتبع فيهم قوم مراؤون، يتقرّأون ويتنسّكون، حدثاء، سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلّا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير».

ولا نكون من الذين قال الله في حقّهم :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[1].

٣٦ ـ وأمير المؤمنين عليه السلام يقول :

«إنّي لأرفع نفسي عن أن أنهى الناس عمّا لست أنتهي عنه، أو آمرهم بما لاأسبقهم إليه بعملي».

٣٧ ـ وقال عليه السلام :

«لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل».

٣٨ ـ وقال عليه السلام :

«لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به».

٣٩ ـ والإمام الباقر عليه السلام يقول :

«ولو أضرّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها، كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها».

---

(١) البقرة : ٤٤.

٤٠ ـ وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله :

«غشيتكم السكرتان : سكرة حبّ العيش، وحبّ الجهل، فعند ذلك لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر».

قال الله تعالى :

﴿ المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ ﴾[1].

والواجب على كلّ واحدٍ منّا أن لا يخشى الناس في مقام النهي عن المنكر بل يخشى الله سبحانه.

قال عزّ وجلّ :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[2].

٤١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«لا يحقّرن أحدكم نفسه».

قالوا : يا رسول الله، وكيف يحقّر أحدنا نفسه ؟ قال :

«يرى أنّ عليه مقالاً، ثمّ لا يقول فيه، فيقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ! فيقول : فإيّاي كنت أحقّ أن تخشى».

---

(١) التوبة : ٦٧.

(٢) آل عمران : ١٧٣.

٤٢ ـ وقال ﷺ :

«لا يمنعنّ أحدكم هيبة الناس أن يقول الحقّ إذا رآه أو سمعه».

ويجب علينا مواجهة المعاصي ولو بوجوه مكفهرّة والإعراض عنهم.

قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1].

٤٣ ـ قال رسول الله ﷺ :

«تقرّبوا إلى الله تعالى ببغض أهل المعاصي، والقوهم بوجوه مكفهرّة، والتمسوا رضا الله بسخطهم، وتقرّبوا إلى الله بالتباعد منهم».

٤٤ ـ وعنه ﷺ :

«أوحى الله إلى أيّوب عليه السلام : هل تدري ما ذنبك إليَّ حين أصابك البلاء ؟ قال : لا، قال : إنّك دخلت إلى فرعون فداهنت في كلمتين».

٤٥ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة».

٤٦ ـ وعنه عليه السلام :

«أدنى الإنكار ان تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة».

٤٧ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾[2] :

(١) الأنعام : ٦٨.

(٢) المائدة : ٧٩.

«أما إنّهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم، ولا يجلسون مجالسهم، ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وآنسوا بهم».

٤٨ ـ وقال عليه السلام :

«إنّ الله عزّ وجلّ بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلبها على أهلها، فلمّا انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرّع... فعادا إلى الله فقال : يا ربّ، إنّي انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرّع إليك، فقال : امضِ لما أمرتك به، فإنّ ذا رجل لم يتمعّر وجهه غيظاً لي قطّ».

٤٩ ـ وعنه عليه السلام :

«لو أنّكم إذا بلغكم عن الرجل شيء تمشيّتم إليه فقلتم : يا هذا، إمّا أن تعتزلنا وتجتنبنا، وإمّا أن تكفّ عن هذا، فإن فعل، وإلّا فاجتنبوه».

٥٠ ـ وقال عليه السلام :

«لتحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم... ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهونه ـ ممّا يدخل به علينا الأذى والعيب عند الناس ـ أن تأتوه فتأنبوه وتعظوه، وتقولوا له قولاً بليغاً ؟!».

فقلت له : إذا لا يقبل منّا ولا يطيعنا ؟ قال : فقال :

«فاهجروه عند ذلك واجتنبوا مجالسته»[1].

٥١ ـ هذا ولا يكون زماننا هذا كما قال الرسول الأكرم :

«كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف !... كيف بكم

(١) الروايات من ميزان الحكمة، فراجع.

إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»[1].

أعاذنا الله من ذلك، وهدانا إلى سبيله القويم وصراطه المستقيم، وفّقنا الله لإحياء أحكام الإسلام وحدوده، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، تقرّباً إلى الله تعالى، ولا نبالي من أجل دعوة الناس إلى المعروف والصلاح بالمتاعب والمشاكل، بل نقاوم حتّى السجون، ومن ثمّ التعذيب، وحتّى الشهادة والقتل في سبيل الله، وما أروع من أن يكون المسلم والمسلمة شهيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تتجلّى فيهما آيات العزّ والشرف، وتتمثّل فيهما المبادئ الإسلامية، وتتجسّد في كلّ مؤمن ومؤمنة روح الإسلام العظيم، ليكون برنامج حياة الأحرار ما قاله سيّد الشهداء مولانا الحسين عليه السلام، في أيام عاشوراء حيث يبيّن أهداف نهضته في كلمات ناصعة، في قوله:

٥٢ ـ «لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً، ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنّما خرجت للإصلاح في أُمّة جدّي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

يا أيّها المسلمون!! بالله عليكم هل اقتدينا برسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الأطهار عليهم السلام والسلف الصالح من آبائنا وعلمائنا الأبرار بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلادنا ومجتمعاتنا الإسلامية وأهلينا وأنفسنا؟!...

(١) الروايات وأمثالها في بحار الأنوار في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الجزء ٩٧، وفي كتاب الكافي، وكتب الحديث الأُخرى، فراجع.

الفرعان التاسع والعاشر

التولّي والتبرّي

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم ومبرم خطابه العظيم:

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[1].

لمّا صدع النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله بتبليغ رسالته، رسالة السماء السمحاء، ونجّى العرب من جاهليّتهم الجهلاء، وأعزّ الله المسلمين في دينهم، جاؤوا النبيّ الأكرم، ليقدّموا له أجر الرسالة، وحملها الثقيل! فسرعان ما نزل الأمين جبرئيل عليه السلام بالآية الشريفة:

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ﴾.

ومعناها: إلّا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتحفظوني لها.

أو معناها: إلّا أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم.

١ ـ وورد من طرق الفريقين، عن ابن عباس، قال: «لمّا نزلت الآية

(١) الشورى: ٢٣.

الشريفة، قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمرتنا بمودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وولدهما».

٢ ـ وفي حديث، قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها نجا، ومن زاغ هوى، ولو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام، حتّى يصير كالشنّ البالي، ثمّ لم يدرك محبّتنا، أكبّه الله على منخريه في النار، ثمّ تلا: ﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾».

واقتراف الحسنة هي المودّة لآل محمّد ﷺ، كما في كثير من الروايات والتفاسير عند الفريقين ـ الشيعة والسنّة ـ فراجع.

٣ ـ وقال الرازي في تفسيره الكبير: روى الكلبي عن ابن عباس، قال: إنّ النبيّ ﷺ لمّا قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة، فقال الأنصار، إنّ هذا الرجل قد هداكم الله على يده، وهو ابن أُختكم، وجاركم في بلدكم، فاجمعوا له طائفة من أموالكم، ففعلوا، ثمّ أتوه به فردّه عليهم، ونزل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾، أي على الإيمان، إلّا أن تودّوا أقاربي، فحثّهم على مودّة أقاربه، ثمّ قال ـ أي الرازي ـ نقل صاحب الكشّاف[1]:

(١) الكشاف؛ للزمخشري ٤: ١٧٣.

٤ ـ عن النبيّ ﷺ، أنّه قال:

«من مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، إلّا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد ﷺ فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة».

٥ ـ وروى صاحب الكشّاف عن النبيّ أنّ القرابة التي وجبت مودّتهم ومحبّتهم هم: عليّ وفاطمة وابناهما.

وفي تشهّد الصلاة: من لم يصلّ عليهم لا تقبل صلاته، عند جميع المذاهب الإسلامية، وهذا يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد واجب.

قال الشافعي إمام الشافعية:

يا آل بيت رسول الله حبّكمُ ... فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ
كفاكمُ من عظيم الشأن أنّكمُ ... من لم يُصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

وقال أيضاً:

يا راكباً قف بالمحصّب من منىٰ ... واهتف بساكنِ خيفها والناهضِ
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منىٰ ... فيضاً كملتطمِ الفرات الفائضِ
إن كان رفضاً حبّ آل محمّدٍ ... فليشهد الثقلان أنّي رافضي

٦ ـ وعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله :

«حرمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي».

نعم، هذا غيض من فيض، وقطرة من بحار في تفسير هذه الآية الشريفة، ومثلها المئات ومئات المئات من الروايات الشريفة، عليكم بمراجعة بحار الأنوار (الأجزاء ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ فكلّها في الإمامة، ومن الجزء ١٥ إلى ٥٣ في تاريخ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وتاريخ الأئمة الأطهار عليهم السلام)، وهذا كتاب من آلاف الكتب في هذا المضمار[١].

ولا يخفى أنّ وجوب المودّة يستلزم وجوب الطاعة، كما هو الحقّ الحقيق عند أهل التحقيق. وبهذا يفرق بين الحبّ والمودّة، فإنّ المودّة حبّ مع الطاعة، فلا يكفي حبّ أهل البيت عليهم السلام إلّا مقروناً مع الطاعة والاعتقاد بأنّهم مفروضو الطاعة.

٧ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام، قال :

«وصّى النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ قال في قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٢]، قال : الأئمة من ولد عليّ وفاطمة إلى أن تقوم الساعة».

٨ ـ وعن مولانا أبي جعفر عليه السلام، قال :

«ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأنبياء وباب الأشياء ورضى

(١) واستخرجت هذه الروايات الشريفة من بحار تلك الأنوار.

(٢) النساء : ٥٩.

الرحمن : الطاعة للإمام بعد معرفته، قال : إنّ الله يقول : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾[١]، أما لو أنّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالة منه إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثمّ قال : أُولئك المحسن منهم يدخله الله الجنّة بفضله ورحمته»[٢].

لقد أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله الأكرم خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله بولاية أهل بيت النبوّة العترة الطاهرة، وأمر الله ورسوله بمودّتهم، واتّباع سيرتهم، والبراءة من أعدائهم ومبغضيهم ومنكري فضائلهم، أوَ ليس الدين إلّا الحبّ في الله والبغض في الله.

فالتولّي لأولياء الله، والتبرّي من أعدائهم، من الفرائض الدينية والواجبات الإلهية.

والتولّي والتبرّي، أي الحبّ والبغض، وإن كانا من أعمال القلب، لكنّه القلب سلطان البدن، والناس على دين ملوكهم، فإذا صلح القلب صلحت الجوارح والجوانح، وصلح الإنسان في سيرته وفكره وسلوكه، فإنّ السيرة تنصلح بالسريرة، فتظهر وتبرز آثار المودّة والمحبّة في سلوك الإنسان المحبّ، حتّى يتفانى من أجل أوليائه الأبرار، مطيعاً مخلصاً، فإنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع، ويضحّي بالنفس والنفيس، ويصعد المشانق والأعواد، من أجل مبادئه ومعتقدات

(١) النساء : ٨٠.

(٢) بحار الأنوار ٢٣ : ١٩٤.

أولياء الله، وبهداهم يهتدي، وبآثارهم يقتدي، وله فيهم أُسوة حسنة وقدوة صالحة.

كما يتجلّى الغضب والعداء لأعداء الله وأعداء النبوّة والولاية، على لسانه وأعماله وأفعاله، ولا يبالي بالموت، وقع عليه أم وقع على الموت، وذلك حينما يمتلئ قلبه من بغضهم والتبرّي منهم.

فموالي أهل البيت المعصومين الأطهار عليهم السلام، لا يخالفهم في صغيرة ولاكبيرة، ويتّصف بصفات الخير والعدل، وينال الحظّ الأوفى من الكمالات النفسية، ومن الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع، فإنّ للحب الطاهر علامات وآثار في السير والسلوك.

٩ ـ وقد قال الرسول الأكرم حبيب ربّ العالمين وسيّد الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله:

«من رزقه الله حبّ الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكّن أحد أنّه في الجنّة، فإنّ في حبّ أهل بيتي عشرون خصلة، عشر منها في الدنيا، وعشر منها في الآخرة.

أمّا التي في الدنيا: فالزهد، والحرص على العمل، والورع في الدين، والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيام الليل، والياس ممّا في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله ونهيه عزّ وجلّ، والتاسعة: بغض الدنيا، والعاشرة: السخاء.

وأمّا التي في الآخرة: فلا ينشر له ديوان، ولا ينصب له ميزان، ويعطى كتابه بيمينه، ويكتب له براءة من النار، ويبيضّ وجهه، ويكسى من حلل الجنّة،

ويشفع في مائة من أهل بيته، وينظر الله عزّ وجلّ إليه بالرحمة، ويتوّج من تيجان الجنّة، والعاشرة: يدخل الجنّة بغير حساب.

فطوبى لمحبّي أهل بيتي»[1].

والتاسعة من القسم الأوّل بغض الدنيا، إذ أنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، وكيف المحبّ لأهل البيت يحبّ الدنيا، وكيف يخطئ فإنّ المؤمن قليل زلله، وكيف يعصي الله ورسوله وأُولي الأمر من أهل بيته، وإذا أذنب فسرعان ما يتبصّر ويستغفر ويتوب إلى بارئه، ولا يعود إليه ثانية، وهذه رشحة من رشحات المودّة، ولمعة من لمعات الولاية، وما نودي في الإسلام بمثل ما نودي بالولاية، كما ورد في الخبر الصحيح، فإنّها روح الإسلام وحقيقته، وإنّها مقرونة بالعمل، والعبادات من دونها كالجسد بلا روح، فإنّه ينتن ويتعفّن، فرائحة العبادات من دونها تؤذي المشام العرفانية، الأرواح الشفّافة الملكوتية، والقلوب الروحانية، ومن نالها يقف بوضوح على ما أقول.

١٠ ـ والولاية، إنّما هي مقرونة بالعمل، فلا ولاية بلا عمل، ولا عمل بلا ولاية، وإليك حديث باقر العلوم مولانا محمّد بن عليّ عليهما السلام، لجابر الجعفي:

«أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ والله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله، وما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشّع وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والتعهّد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، فكانوا أُمناء

---

(١) الخصال: ٥١٥.

عشائرهم في الأشياء...».

إلى أن قال عليه السلام:

«من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان عاصياً فهو لنا عدوّ، ولا ينال ولايتنا إلّا بالورع والعمل».

يا ترى، كيف لا نوالي أهل بيت العصمة عليهم السلام، وفي بيوتهم ـ التي أذن الله أن تُرفع ـ نزل الكتاب، وبهم عُرف الصواب، وهم ميزان الأعمال، وسادة الخلق، وأركان البلاد، وساسة العباد، وخلفاء الرسول؟

يا هذا، بالله عليك كيف نقدّم المفضول على الفاضل؟ أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أم لا يهدي إلّا أن يهدى؟

وكيف نتبع من يقول: أقيلوني أقيلوني، ومن قال: كلّ الناس أعلم منه حتّى النساء المخدّرات!! ولا نتبع من نزل في فضله ومقامه وولايته وطاعته ثلاثمائة آية، بل ثلث القرآن الكريم، كما نصّ على ذلك الفريقان ـ السنّة والشيعة ـ، ألا وهو سيّد الأوصياء، وإمام الأولياء، مولى الموحّدين أمير المؤمنين، أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كما وردت آلاف الأخبار والأحاديث، وملئت الطوامير في فضله وفضل أولاده المعصومين الأئمة الميامين عليهم السلام، كيف والعدوّ كتم فضله حقداً، والصديق خوفاً، مع ذلك ملأت فضائله الخافقين؟ ناهيك عن حديث الثقلين المقدّس[1] وحده، وقد بلغت طرقه مائتين وخمسين طريقاً، من السنّة والشيعة من الصحاح الستّة والكتب الأربعة ومئات الأسفار والكتب.

(١) لقد ذكرت تفصيل ذلك سنداً ومتناً في كتاب (في رحاب حديث الثقلين)، فراجع.

١١ ـ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله منجي عالم البشرية جمعاء:

«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني وتحفظوني فيهما، وإنّ الله سائلي وسائلكم، فما أنتم قائلون...».

ومن هذا المنطق الربّاني نجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يكرّره مراراً على المسلمين، ويأمرهم بولاية أهل بيته عليهم السلام في كلّ مناسبة، طالباً من الأُمّة التمسّك بهم وبالقرآن الكريم: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[1] في اعتصامكم بحبل الله.

لقد أراد الله ورسوله للأُمّة المؤمنة والطليعة الرسالية، التمسّك بالأئمة الأطهار عليهم السلام وولاءهم والبغض من أعدائهم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله في أنّ الأئمة عليهم السلام اثنا عشر متواترة بشكلٍ عجيب، وهذه لا تنطبق إلّا على الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، الثقل الثاني، الذي تركه الرسول صلى الله عليه وآله بين ظهراني الأُمّة، لهدايتهم ولحفظ الشريعة الإسلامية من الضياع والانعدام والانحراف عن الأُصول.

ولمّا لم يستطع أحد إنكارها، أو الخدش في سندها، لتواترها وكثرة رواتها ومخرجيها من العلماء، حاول بعض الحاقدين أن يخرج هذه الأحاديث عن مدلولها، ويتأوّل لها أُناس آخرون.

ومهما حاولوا ذلك، فإنّه يقصر العدد أو يزيد، فالخلفاء الراشدون دون

(١) آل عمران: ١٠٣.

العدد، والأُمويون أكثر، والعباسيون أضعاف ذلك، وحاول آخرون أن يجمعوا لفيفاً من هؤلاء وهؤلاء كيما يكملوا العدد ويأتوا بالعدّة، فاضطروا إلى إدخال حكام الجور والضلال، ونبذة الكتاب في القائمة ـ كمعاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان وأبنائه ـ ومع ذلك لم يتمّ لهم العدد، ولم يستقم لهم النصاب، وفضحتهم المسمّيات، فهم أقلّ من أن يريدهم الرسول صلى الله عليه وآله أئمة للأُمّة، ونظراء وقرناء للقرآن الكريم، كما وأنّ هناك أحاديث صرّحت بأسماء الأئمة، لا يمكن الغمز فيها لكثرتها وثبوتها.

وقد أفرد غير واحد من الأعلام كتاباً مستقلاً جمع فيه الأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وآله في الأئمة الاثني عشر، أُنظر كتاب (كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر) تأليف الشيخ علي بن محمّد بن علي الخزّاز الرازي، وكتاب (مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر) للشيخ أبي عبد الله أحمد بن عبد الله بن عباس، وكتاب (الاستنصار في النصّ على الأئمة الأطهار) للشيخ محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي)[1]، وكتاب (إثبات الهداة) للشيخ الحرّ العاملي.

إنّ الإنسانية في تاريخها الطويل لم تشهد مثل أئمتنا الاثنى عشر الأطهار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فهم مجمع الفضائل والمكارم والمثل العليا، وإذا كانت الأُمم الحيّة تعتني بحياة عظمائها وساداتها، تشيّد لهم النصب والتماثيل التذكارية، وتدرس حياتهم للأجيال، إذ ترى في ذلك دعماً

(١) نقلنا هذه الفقرة من كتاب (أئمتنا) للأُستاذ علي دخيّل ١ : ١٦، وإنّه كتاب قيّم.

لتمدّنها، وتحكيماً لدعوتها وقداستها، فجدير بالأُمّة الإسلامية، لا سيّما في مثل هذا العصر، عصر الصحوة الإسلامية، أن تدرس من دون تعصّب وتقليد حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتبحث عن آثارهم وتنقّب عن أخبارهم، لتنهج مناهجهم، وتأخذ من علومهم وعملهم وسيرتهم، نموذجاً واقعياً حيّاً، يوصلها إلى ساحل السلام، وقمم الرقيّ والسعادة، ويحقّق لها الخير المنشود، ليعود لواؤها يخفق على العالم من جديد.

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

وممّا يحزّ في النفس، ويقطع أنياط القلب، أنّ بعض الأُمّة استحوذ عليهم الشيطان، وتركوا طريق أهل البيت عليهم السلام، وأخطأوا في تقديم المفضول على الفاضل، وإهمالهم عن الإقرار بإمامتهم، ظلم لهم، وغمز لحقوقهم، التي شرّعها الله والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، كما هو ظلم لأنفسهم بجحدهم الحقّ، ونكوصهم عن الطريق السوي، مع علمهم بفضلهم وجليل مقامهم الشامخ:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾[2].

هذا الحديث ذو شجون، وعلى الصدر الأوّل يقع العبء الكبير من هذه التبعية والبيعة، ولله في خلقه شؤون، ونكوصهم عن الحقّ سبب لما نشاهده اليوم من تلاعب الكافرين بمقدّرات المسلمين واستيلاء الفجّار الأجانب عليهم

(١) يوسف : ١٠٨.

(٢) النمل : ١٤.

واستعمارهم، ونهب خيراتهم المعنوية والماديّة.

فلا بدّ من إحياء الركنين الأساسيّين ـ التولّي لأولياء الله، والتبرّي من أعداء الله ـ في الأُمّة الإسلامية، ونعود بكلّ إخلاص إلى العترة الطاهرة، إلى القرآن الكريم والسنّة المحمّدية الخالصة، نرجع إلى أئمة الحقّ والهداية، فهم الطريق إلى الله سبحانه، وهم باب الله الذي منه يؤتى، بهم فتح الله وبهم يختم، وإنّما تقيّم الأعمال بولايتهم، كما ورد في ذلك الأحاديث الشريفة المتواترة والآيات الكريمة المنصوصة المحكمة، فإنّ أفضل بقاع الأرض ما بين الركن والمقام.

١٢ ـ ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلّا خمسين، يصوم النهار ويقوم الليل، في ذلك الموضع ـ ما بين الركن والمقام ـ ثمّ لقي الله بغير ولاية أهل البيت لم ينفعه ذلك شيئاً، ومن لم يوالِ علياً لم يشمّ رائحة الجنّة، ولم يدخلها».

١٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«لو أنّ رجلاً صلّى وصفّ قدميه بين الركن والمقام، ولقى الله ببغضكم أهل البيت دخل النار»[1].

١٤ ـ وقال معلّم البشرية ومنذرهم صلى الله عليه وآله:

«والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، لو أنّ رجلاً لقي الله بعمل سبعين نبيّاً، ثمّ لم يأتِ بولاية وليّ الأمر من أهل بيتي، ما قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[2].

(١) أمالي الطوسي: ٧٣.

(٢) أمالي المفيد: ٧٥.

وأخيراً: قال المحقّق الفيض الكاشاني في كتابه (منهاج النجاة): (حبّ أولياء الله واجب، وكذا بغض أعداء الله والبراءة منهم ومن أئمتهم، سيّما من الذين ظلموا آل محمّد عليهم السلام حقّهم وغصبوا ميراثهم وغيّروا سنّة نبيّهم، ومن الذين نكثوا بيعة إمامهم...).

ولا بأس أن أُلفت أنظاركم إلى موضوع مهمّ، وهو: إنّ تاريخ التشيّع يرجع إلى زمان النبيّ الأكرم، فإنّه صلى الله عليه وآله في كثير من المواطن، قد ذكر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وشيعته الكرم، وإنّهم الصفوة، وهم من أهل الجنّة، وهذا ما يذكره الفريقان السنّة والشيعة في كتبهم ـ راجع في ذلك كتاب (أصل الشيعة وأُصولها) ـ وأمّا اصطلاح السنّة والجماعة فقد ورد في لسان أتباع معاوية لأوّل مرّة.

وقد اختلف المسلمون، وانقلبوا على أعقابهم بعد رحلة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله إلى جوار ربّه، وتشعّبوا إلى ثلاث وسبعين فرقة، كما أخبر النبيّ بذلك، ثمّ الهادي المبشّر النذير والسراج المنير، أرشدنا إلى الفرقة الناجية من تلك الفرق، بمثل حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين، وحديث السفينة «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق وهوى»[1]، ومئات الأحاديث والروايات الشريفة، كما أشاد القرآن الكريم بذلك.

ولكن نحن الإمامية الاثنى عشرية، نحكم بطهارة الفرق الإسلامية، وإن اختلفنا معهم في خصائص الأُصول والفروع، فنتعامل معهم، وجرت المناكح والمواريث بيننا وبينهم، ودوماً ندعو كلّ المسلمين إلى الوحدة الإسلامية

(١) ذكرت تفصيل ذلك سنداً ودلالة في (أهل البيت سفينة النجاة)، مطبوع، فراجع.

والاعتصام بحبل الله جميعاً، لا سيّما في عصرنا هذا، لما عندنا من العدوّ المشترك وهو الاستكبار العالمي بمعسكريه الغربي (أمريكا) والشرقي (روسيا) وأذنابهم وعملائهم.

إلّا أنّه هناك طوائف، نحكم عليهم بالكفر والنجاسة، وإن انتحلوا الإسلام، كالخوارج والغلاة والنواصب والمجسّمة، لأنّهم ينكرون ضرورياً من ضروريات الدين، أو نصّ على كفرهم وارتدادهم[1].

أمّا الخوارج، فكفرهم بإنكارهم جملة من الضروريات، كاستحلالهم قتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ومن معه من المسلمين، وحكمهم بتكفيرهم بمجرّد التحكيم، فهم المارقون عن الدين.

١٥ ـ وعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في وصفهم:

«إنّهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرامي»[2].

وأمّا الغلاة، وهم الذين تجاوزوا الحدّ في الأئمة المعصومين عليهم السلام حتّى ادّعوا فيهم الربوبية، فادّعوا أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام هذا العبد الصالح هو الصانع والخالق، فأنكروا ما علم بطلانه بالضرورة من الدين.

١٦ ـ وفي الخبر الشريف عن أبي الحسن عليه السلام، أنّه قال:

«توقّوا مساورته».

أي سؤر الغالي.

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفّار)، مطبوع، فراجع.

(٢) جواهر الكلام ١: ١٥٩.

وأمّا النواصب، فهم الذين نصبوا عداوة عليّ عليه السلام وأولاده الطاهرين عليهم السلام وشيعتهم في قلوبهم، فهم أنجس من الكلاب، كما ورد في الأخبار الشريفة.

١٧ ـ ففي خبر أبي يعفور عن الصادق عليه السلام:

«لا يغتسل من البئر التي تجتمع فيها غسالة الحمّام، فإنّ فيها غسالة ولد الزنا، وهو لا يطهر إلى سبعة آباء، وفيها غسالة الناصب، وهو شرّهما، إنّ الله لم يخلق خلقاً شرّاً من الكلب، والناصب لنا أهون على الله من الكلب»[1].

١٨ ـ وفي خبر آخر:

«إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقاً أنجس من الكلب، وإنّ الناصب لنا أهل البيت لأنجس منه».

وأمّا المجسّمة، فهم القائلون بكون الله سبحانه جسماً كالأجسام، أو جسماً لا كالأجسام، فقالوا بجسمية الله الذي ينافي مقام واجب الوجود لذاته، ويلزمه الإمكان والاحتياج، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً[2].

فالضابط في كفر الفرق المخالفة من المسلمين، إنكار ضروري الدين أو ما نصّ على كفرهم منها، نعم، هو لا يندرج فيه السابّ منهم للنبيّ والإمام المعصوم عليه السلام والزهراء عليها السلام، أو الهاتك لحرمة الإسلام بقول أو فعل وإن وجب

(١) وسائل الشيعة ١: ١٥٩.

(٢) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين)، و (عقائد المؤمنين ـ الذي بين يديك)، و (القول الحميد في شرح التجريد)، و (بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر).

قتله، وربما يلحق كما قيل، وكذا لا يندرج في الضابط المذكور، معتقد خلاف الحقّ من فرق المسلمين، كجاحد النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ الأقوى طهارتهم في مثل هذه الأعصار، وإن كان عند ظهور صاحب الأمر عليه السلام يعاملهم معاملة غير ما نتعامل معهم اليوم، كما أنّ الله تعالى شأنه يعاملهم كذلك بعد مفارقة أرواحهم أبدانهم، وإنّما نحكم بطهارتهم وفاقاً للمشهور بين الأصحاب، بل لعلّه ضروريّ المذهب، للسيرة القاطعة من سائر الفرقة المحقّة، في سائر الأعصار والأمصار، وللقطع بمخالطة الأئمة الأطهار عليهم السلام وأصحابهم لهم، حتّى لرؤسائهم ومؤسّسي مذهبهم، وللعمومات وشدّة العسر والحرج على تقدير النجاسة، وللنصوص المستفيضة، بل المتواترة في حلّ ما يوجد في أسواق المسلمين والطهارة، مع القطع بندرة الإمامية في جميع الأزمنة، سيّما أزمنة صدور تلك النصوص، فضلاً عن أن يكون لهم سوق يكون مورداً لتلك الأحكام المزبورة، فهو من أقوى الأدلّة على طهارة هؤلاء.

ثمّ ورد في الأخبار الشريفة الفرق بين الإسلام والإيمان، فالإسلام هو عبارة عن الشهادتين.

١٩ ـ ففي أُصول الكافي عن سفيان بن السمط، قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان، ما الفرق بينهما؟ فلم يجب، ثمّ سأله فلم يجب، ثمّ التقينا في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «كأن قد أزف منك الرحيل»؟

فقال: نعم.

فقال: «فالقني في البيت».

فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما؟

فقال: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان».

وقال: «الإيمان معرفة هذا الأمر، أي ولاية أهل البيت عليهم السلام، مع هذا فإنّ أقرّ بها ولم يعرف الأمر كان مسلماً وكان ضالاً».

٢٠ ـ وفي خبر سماعة، قال: قلت لأبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان، أهما مختلفان؟

فقال: «الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام ولا يشارك الإيمان».

فقلت: فصفهما لي؟

فقال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله، والتصديق برسول الله، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس. والإيمان الهدى، وما ثبت في قلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل».

٢١ ـ وفي خبر حمران بن أعين، عن الباقر عليه السلام، قال: سمعته يقول:

«الإيمان ما استقرّ في القلب، وأفضى به إلى الله تعالى عزّ وجلّ، وصدق العمل بالطاعة والتسليم لأمره، والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلّها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، فخرجوا بذلك من الكفر، وأُضيفوا إلى الإيمان».

إلى أن قال فيه: قلت: فهل للمؤمن على المسلم في شيء من الفضائل

والأحكام والحدود وغير ذلك ؟

فقال :

«لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحد، ولكنّ المؤمن فضّل على المسلم في أعمالهما، وما يتقرّبان به إلى الله عزّ وجلّ».

والحديث طويل.

وخلاصة ما في الأخبار أنّ المسلم لا يخرج عن الإسلام إلى الكفر، إلّا بالجحود وإنكار الضروري، وإنّه قد يطلق الإسلام على ما يرادف الإيمان، وقد يطلق على المصدّق بغير الولاية، وعلى مجرّد إظهار الشهادتين، ويقابله الكفر في الثلاثة، كما أنّه يطلق المؤمن على الأوّل، وعلى المصدّق بالولاية، ولاية أهل البيت الأئمة الاثني عشر وإمامتهم.

هذا وجاء في (تحرير الوسيلة)[1] في أقسام النجاسات :

(العاشر منها : الكافر : وهو من انتحل غير الإسلام، أو انتحله وجحد ما يعلم من الدين ضرورة بحيث يرجع جحوده إلى إنكار الرسالة، أو تكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله، أو تنقيص شريعته المطهّرة، أو صدر منه ما يقتضي كفره، من قول أو فعل من غير فرق بين المرتدّ والكافر الأصلي الحربي والذمّي، وأمّا النواصب والخوارج لعنهم الله تعالى، فهما نجسان من غير توقّف ذلك على جحودهما، الراجع إلى إنكار الرسالة، وأمّا الغالي فإن كان غلوّه مستلزماً لإنكار الألوهيّة، أو التوحيد أو النبوّة فهو كافر، وإلّا فلا.

(١) تحرير الوسيلة ١ : ١٠٢.

غير الاثنى عشرية من فرق الشيعة، إذا لم يظهر منهم نصب، ومعاداة، وسبّ لسائر الأئمة الذين لا يعتقدون بإمامتهم طاهرون، وأمّا مع ظهور ذلك منهم فهم مثل سائر النواصب).

هذا وقد تعرّضت لمثل هذه المباحث، ولدراسة أُصول الدين بنحو أكثر تفصيلاً في كتاب (بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر) و (القول الحميد في شرح التجريد).

وأمّا في هذه الرسالة والدراسة السريعة، فأكتفي بما ذكرت، طلباً للاختصار والإيجاز.

وليعلم أنّ الولاية في الإمامة من أُصول الدين، والولاء والطاعة لمحمّد وآله الطاهرين من فروعه، فالولاية باعتبار النصب الإلهي كالنبوّة من أفعال الله، فيدخل في أُصول الدين وعلم الكلام، وباعتبار المودّة القلبيّة والطاعة يدخل في فروع الدين وإنّه من علم الفقه إذ يتعلّق بأفعال المكلّفين. وبهذا نعتقد أنّ التولّي وإن كان من فروع الدين، ولكن باعتبار الرئاسة العامّة في الدين والدنيا وأنّ الإمامة امتداد خطّ النبوّة وأن نصب الوصيّ والوليّ بيد الله سبحانه، فإنّه يكون من أُصول الدين.

ولا بأس أن نختم هذا الفصل بدعاء عن مولانا زين العابدين وسيّد الساجدين الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام :

«اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، شجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، الفُلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن

من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدّم لهم مارق، والمتأخّر عنهم زاهـق، واللازم لهم لاحق.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، الكـهف الحـصين، وغـياث المـضطرّ المستكين، وملجأ الهاربين، وعصمة المعتصمين.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، صلاةً كثيرةً تكون لهم رضىً ولحقّ محمّد وآل محمّد أداءً وقضاء، بحولٍ منك وقوّة، يا ربّ العالمين.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، الطيّبين الأبرار الأخيار، الذين أوجبت حقوقهم، وفرضت طاعتهم وولايتهم.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واعـمر قـلبي بـطاعتك، ولا تـخزني بمعصيتك، وارزقني مواساة من قترت عليه من رزقك بما وسعت عليّ من فضلك، ونشرت عليَّ من عدلك، وأحييني تحت ظلّك...»[1].

(١) مفاتيح الجنان: ١٥٦، من أعمال شهر شعبان المبارك.

واعلم أنّي قد ذكرت بحث الولاية بالتفصيل بذكر المئات من الآيات والأحاديث الشريفة في كتاب (هذه هي الولاية ـ المجلّد الخامس من موسوعة رسالات إسلامية ـ مطبوع)، فراجع.

خاتمة المطاف

العقيدة من العقد القلبي، فإنّه لو ربطنا وعقدنا بين المحمول والموضوع في قضيّة، كما لو قلنا: (زيد قائم) بعد علمنا بقيامه، فإنّه يسمّى بعقد العلم، ولو عقدنا العلم بالقلب فإنّه يسمّى بالإيمان وبعقد الإيمان والقلب، كما يسمّى بالعقيدة.

وأُصول الدين الإسلامي الحنيف ومفاهيمه السامية، لو عقدناها بـالقلوب وذلك بالبراهين والأدلّة الفطرية والعقلية والنقلية، وآمنّا بها حقّاً، وتبلورت فـي سلوكنا وأفكارنا وفي كلّ أبعاد حياتنا، كما يرضي الله سبحانه، فإنّها تعني الإسلام الرسالي والعقائد الإسلامية الحقّة.

وأُصول الدين بمنزلة الجذور الأصلية لشجرة الإسلام الباسقة، التي يـعمّ ظلّها الوارف تماام العالم، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

أجل، بعد أن مرّ عليك أيّها القارئ الكريم، هذا الموجز والإلمامة العجلى من أُصول الدين وفروعه المقدّسة، فالجدير أن تكون هذه الوريقات دعوة حقٍّ إلى الصراط المستقيم، والاستقامة على المبدأ القويم وإيماناً بالمعاد.

ونوراً يستضاء به، ومنهجاً ناصعاً ينتهج عليه، وطريقاً واضـحاً يـرتسم، وعلماً نافعاً يسار على هداه، لما فيه من الآيات الكـريمة والروايـات الشـريفة والأدلّة العقلية، والمنطق السليم، ليعود لواء الإسلام خفّاقاً من جديد على أرجاء المعمورة، وينادى بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، في كلّ قطرٍ من أقطار العالم، ويظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

اللهمّ أعنّا على أنفسنا بما تعين به الصالحين على أنفسهم، وأخـرج حبّ

الدنيا من قلوبنا، كما فعلت بالصالحين، وهب لنا كمال الانقطاع إليك، وخذ بأيدينا إلى ساحل الأمن والسلام، ولما يسعدنا وأهلينا في الدارين، وجنّبنا مزالق الشيطان، ومهالك السوء، ومرابض الفتن، ودعاة الشرّ، وهاوية الانحطاط، وعسر الأُمور.

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾[1].

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾[2].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلّى الله على محمّد وآله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

العبد

عادل العلوي

إيران ـ قم ـ ص ب ٣٦٣٤

(١) آل عمران: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

الفهرست

الإهداء ٣

كلمة المؤسسة ٤

خلاصة الإسلام

(٧ ـ ٢٠)

خلاصة الإسلام في أُصوله وفروعه ٩

أُصول الدين

(٢١ ـ ١٢٢)

الأصل الأوّل ـ التوحيد ٢٣

المقام الأوّل ـ أدلّة إثبات الصانع ٢٥

١ ـ دليل الإمكان (مسلك الحكماء) ٢٥

٢ ـ دليل الحدوث (مسلك المتكلّمين) ٢٦

٣ ـ دليل الحركة (مسلك الطبيعيين) ٢٧
٤ ـ دليل النظم ٢٧
٥ ـ دليل العلّة والمعلول ٢٨
المقام الثاني ـ صفات الله سبحانه وتعالى الجماليّة والجلاليّة ٣٠
الأصل الثاني ـ العدل ٣٣
الأصل الثالث ـ النبوّة ٣٩
المقام الأوّل ـ النبوّة العامّة ٤٠
شرائط النبيّ ٤١
المقام الثاني ـ النبوّة الخاصّة ٤٤
الأصل الرابع ـ الإمامة ٤٧
المقام الأوّل ـ الإمامة العامّة ٤٨
المقام الثاني ـ الإمامة الخاصّة ٥٠
الأصل الخامس ـ المعاد ٥٥
أُصول الدين في ميزان القرآن والعترة ٥٩
القرآن الكريم وعترة الرسول الأكرم عليهم السلام ٥٩
التوحيد ٦١
التوحيد في القرآن الكريم ٦١
التوحيد في الأحاديث ٦٢
الصفات الربوبية في القرآن الكريم ٦٧
الصفات الربوبية في الأحاديث الشريفة ٧٠
باب جوامع التوحيد ٧٤
العدل ٧٨

العدل الإلهي في القرآن الكريم ٧٨
العدل الإلهي في الأحاديث الشريفة ٨٠
النبوّة ٨٢
النبوّة العامّة في القرآن الكريم ٨٢
النبوّة الخاصّة في القرآن الكريم ٨٤
النبوّة العامّة والخاصّة في الأحاديث الشريفة ٨٨
الإمامة ٩٢
الإمامة العامّة والخاصّة في القرآن الكريم ٩٢
الإمامة العامّة والخاصّة في الأحاديث الشريفة ٩٥
المعاد ١٠٨
المعاد في القرآن الكريم ١٠٨
المعاد في الأحاديث الشريفة ١١٣
(مناجاة العارفين) ١٢١

فروع الدين
(١٢٣ ـ ٢٧٠)

الفرع الأوّل ـ الصلاة ١٢٥
فضل المصلّي ١٢٩
حدود الصلاة ١٣٧
جوامع آداب الصلاة ١٤٥
الفرع الثاني ـ الصوم ١٤٩

علّة الصيام وحكمة وجوبه ١٥٠
فضل الصائم ١٥٦
أدب الصوم ١٥٨
ميراث الصوم وآثاره ١٦٠
الفرع الثالث ـ الزكاة ١٦٣
حكمة الزكاة وعلّة وجوبها ١٧١
الفرع الرابع ـ الخمس ١٧٧
إكرام السادة الأجلّاء ١٨٧
الفرع الخامس ـ الجهاد ١٩٣
الفرع السادس ـ الحجّ ٢٠٩
الفرعان السابع والثامن ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٣١
الفرعان التاسع والعاشر ـ التولّي والتبرّي ٢٤٧
خاتمة المطاف ٢٦٧
الفهرست ٢٦٩